

Démonstration de la corruption du *tawhîd* de la wahhâbiyyah

قال الإمام العلامة ناصر السنة أحمدُ دحلان مفتي الشافعية في مكة المشرفة في كتابه خلاصة الكلام في أمر بلد الحرام رَدًّا على أباطيل الوهابية وشبههم: "ينبغي أولاً أن نذكر الشبهات التي تمسك بها ابنُ عبدِ الوهابِ في إضلال العباد ثم نذكر الردَّ عليه ببيان أن كل ما تمسك به زورٌ وافتراء وتلبيس على عوامِّ الموحدِّين. فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وبندهم له بقولهم: يا رسولَ الله نسألك الشفاعة، وزعم أن كل ذلك إشراكٌ. وحمل الآياتِ القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواصِّ والعوامِّ من المؤمنين، كقوله تعالى ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ ... وقوله ﴿ولا تدعو من دون الله ما ينفعك ولا يضرك فإن فعلت إنك إذا من الظالمين﴾ ... وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الأصنام ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفاً﴾ إن المتوسلِّين مثل هؤلاء المشركين يقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفاً﴾، فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بل يعتقدون أن الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ اللهُ﴾ ... فما حكم الله عليهم بالكفر والإشراك إلا لقولهم ﴿ليقربونا إلى الله زلفاً﴾، فهؤلاء مثلهم.

هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعهم على المؤمنين وهي حجة باطلة، فإن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الأولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله، بل هم يعتقدون أنهم عبيدٌ لله مخلوق له ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا أنهم يخلقون شيئاً ولا أنهم يملكون نفعاً أو ضراً، إنما قصدوا التبرُّك لكونهم أحبَّاءَ لله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وبركهم يرحم الله عباده ... فاعتقاد المسلمين أن الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة إلا لله وحده ولا يعتقدون التأثير لأحد سواه. وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآياتُ السابقة ذكرها فكانوا يتخذون الأصنام آلهة، والإله معناه المستحقُّ للعبادة، فهم يعتقدون استحقاق الأصنام للعبادة ... فهو الذي أوقعهم في الشرك

... فإذا علمت هذا تعلم أن جميع الآيات المتقدم ذكرها وما مثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين<sup>1</sup>.

فالذي أوقع المشركين في الكفر اعتقادهم أن الأصنام آلهة تستحق العبادة من دون الله سبحانه إذ قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفاً﴾ فجعلوها آلهة وشفعاء. وأما المسلمون فلم يتخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شفيعاً لأنهم موحدون لا يشركون في ألوهية الله شيئاً، فلا يقول المسلمون: ما نعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليقربنا إلى الله زلفاً، بل يقولون ما تنشفع برسول الله إلا ليقربنا إلى الله زلفاً. فالمحذور الدعاء لغير الله على سبيل العبادة فقط وإلا لكان المرء مشركاً إذا دعا شخصاً لأمر ما، وليس كذلك بل بل الدعاء والنداء بيننا من الأسباب العادية التي أوضعها الله في خلقه. فبيّنت الآية ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفاً﴾ أن الشرك عبادة غير الله لا مجرد الدعاء أو النداء له.

وقول ابن عبد الوهاب إن المتوسلين برسول الله كالمشركين في الظلم لقول الله ﴿ولا تدعو من دون الله ما ينفعك ولا يضرك فإن فعلت إنك إذا من الظالمين﴾ كذب لأنه لا قدرة حقيقية أو مجازية للأصنام تمكّنها من الإجابة، فلا نفع في دعائهم لها لأنها لا تجيب. وأما المتوسلون فإنهم يدعون الرسول على سبيل التشفع به وذلك نافع لهم، فقال ابن كثير في تفسير قول الله: ﴿ولا يملكون الذين يدعون من دون الله﴾ أي الأصنام والأوثان ﴿الشفاعة﴾ أي لا يقدر على الشفاعة لهم ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ هذا استثناء منقطع، أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له، وهم عيسى عليه السلام وعزير والملائكة وجميع الأنبياء والأولياء والشهداء، فإن لهم قدرة مجازية تمكّنها من الشفاعة للذين يدعونهم معتنقين أنهم شفعاؤهم عند الله، لا أنهم شركاؤه. فاتضح بكل ذلك أنه لا وجه شبه بين المشركين والمتوسلين برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عند الضالين المضلّين الحاقدين على المسلمين كابن عبد الوهاب.

وتمسك ابن عبد الوهاب بقول الله ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفاً﴾ ليثبت أن المشركين ما كانوا ينسبون إلى الأصنام قدرة وتأثيراً كما أن المسلمين لا يفتقدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم تأثيراً وأن الجميع متفقون على أن التأثير لله وحده فلا فرق بين المشركين والمتوسلين في اعتقادهم، ذلك الادعاء كثر بكثير من آيات القرآن والأحاديث

<sup>1</sup> انظر شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنهباني الباب 3 ص 75.

النبوية كما سترى، والحصر المذكور في الآية السابقة لا يقتصر على التقرب إلى الله زلقا، وإنما كان المشركون يركزون على مقصود معين في عبادتهم للأصنام حسب حاجة الوقت، إما التقرب إلى الله بشفاعتها لهم إليه وإما الاستغاثة بها والاستنصار بقدرتها في وقت آخر. فكان المشركون يعبدون الأصنام لِرِعمهم أنها آلهة لها قدرة وتأثير من دون الله تعالى، وإن اعترفوا أن خالقهم الله الإله الأكبر. فقال مُرْسَلٌ لقومه داعيًا إلى عبادة الله وحده: ﴿عَاخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ. إِنْ لِي ضَلَالٌ مُبِينٌ﴾ فَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ لَا شَفَاعَةَ وَلَا قُدْرَةَ لِآلِهَتِهِمْ خِلَافًا لِمَا يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ.

مما يُبَيِّنُ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ لِلْأَصْنَامِ تَأْثِيرًا قَوْلَ ابْنِ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِ اللَّهِ ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَاعَةَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ﴾: "تَفْرِيعٌ لَهُمْ وَتَوْبِيخٌ عَلَى مَا كَانُوا اتَّخَذُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ظَانِّينَ أَنَّهَا تَنْفَعُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ". وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ يَخْبِرُ عَنِ رَدِّ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ - أَيِ أَصَابِكَ - ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ. قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ فَإِنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ خِلَافًا لِمَا تَعْتَقِدُونَ، ثُمَّ قَالَ ﴿أَلَا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ فَأَشْرَكُوا لَهُ أَصْنَامًا فَعَبَدُوهَا لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَاسْتَحَقَّتْ الْعِبَادَةَ لِأَجْلِ ذَلِكَ. وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾، وَقَالَ تَكْذِيبًا لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَسْتَجِيبُ لِمَنْ طَلَبَ مِنْهَا قِضَاءَ الْحَوَائِجِ وَأَنَّهَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْمَلِكِ مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيَسْتَجِيبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾، ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾، وَقَالَ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ أَيِ يَعْتَزُّونَ بِهَا وَيَسْتَنْصِرُونَهَا، وَقَالَ ﴿فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾. وَقَالَ ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ﴾ لِلنَّصْرِ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ﴾ هَوْلًا الْمَعْبُودُونَ ﴿غَيْرَ تَنْبِيءٍ﴾ تَخْسِيرٍ. وَقَالَ اللَّهُ ﴿وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاقِبِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ﴾، فَلَمْ يَجِيبُوا لَهُ: لَا يَنْفَعُونَنَا بَلْ عِبَادَتُنَا لَهُمْ مَحْضٌ عَبَثٌ، وَلَكِنْ ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فَتَبَيَّنَ لَهُمْ نَفْعُ الْأَصْنَامِ فَلَذَا عِبَادَتِهَا عَلَى بَيْنَةٍ فَحَنُّ مَقْتَدِينَ بِهِمْ فِي هِدَاهِمُ. وَقَالَ اللَّهُ ﴿وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ

تعبدون من دون الله هل ينصرونكم ﴿ أي كما زعمتم قبل ﴾ ﴿ أو ينتصرون ﴾ ثم قال ﴿ تالله إن كُتِّبَ في ضلال مبين إذ نُسَوِّبُكُمْ برب العالمين ﴾ في العبادة وأتم لا تستطيعون الآن نصرنا ولا نصر أنفسكم<sup>2</sup>. ﴿ وما أضلنا إلا المجرمون ﴾ كآباؤنا الأقدمون بزعمهم أن الأصنام آلهة تنفع وتضر.

وروى مسلم عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحدِيثِبة إثر سماء كانت بالليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال أمطرنا بفضل الله وبرحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال أمطرنا بنوء - أي طلوع - كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب". ومما قال النووي في شرحه: "هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام. قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعلٌ مُدَبِّرٌ مُنْشِئٌ للمطر كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره. وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء، والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث". وقال الله سبحانه ﴿ آمَنَ خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأبنتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تُنبِتوا شجرها إله مع الله بل هم قومٌ يعدلون ﴾ أي يشركون بالله غيره كالكواكب في ذلك. وقال سبحانه ﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأوثان ﴿ إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إثما ﴾ تقولون كذبا إن الأوثان شركاء لله ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ﴾ لا يقدر أن يرزقكم خلافا لما تعتقدون فيهم ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ لا عند الأوثان ﴿ واعبدوه ﴾ وحده لأنه لا قدرة للأوثان فليسوا بآلهة فلا يستحقون العبادة ﴿ واشكروا له إليه ترجعون ﴾. وقال ﴿ أم اتخذوا من دون الله آلهة من الأرض ﴾ كحجر وذهب ﴿ هم يُنْشِرُونَ ﴾ أي يُجَيِّون الموتى؟ ﴿ بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ﴾ في نفيه، والحق هو أنه ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا ﴾ لو كان معه إله ﴿ لذهب كلُّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾ مغالبةً كفعل ملوك الدنيا ﴿ سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ بأن مع الله آلهة تخلق وتنصرف. وقال ﴿ لو كان فيهما ﴾

<sup>2</sup> انظر تفسير القرطبي.

السموات والأرض ﴿ءالهة إلا الله لفسدتا﴾ خرجتا عن نظامهما ﴿فسبحان الله رب العرش  
عما يصفون﴾ من وجود الشريك له.

وكذلك عبد المشركون من دون الله آلهة وأرباباً لهم قدرة مجازية لا يُنكرها أحد  
فقال الله ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم  
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه  
لكم عدوٌّ مبينٌ﴾ ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً. أيا مكرم بالكفر بعد إذ أتم  
مسلمون﴾ ﴿وجعلوا له بنين وبناتٍ بغير علم﴾ ﴿وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت  
قلت للناس اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ﴿وقالت اليهود عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ  
النصارى المسيح ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ  
اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ. اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما  
أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾. ودخل عدي بن حاتم  
رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم  
أرباباً من دون الله﴾ فقال: "إنهم لم يعبدوهم فقال صلى الله عليه وسلم: بلى إنهم حرموا  
عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتَّبَعُوهم فذلك عبادتهم إياهم"<sup>3</sup>

﴿ويومَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ  
أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ. فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ  
لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ قال  
القرطبي: "وفي التفاسير أن حياً يُقال لهم بنو مُلَيْحٍ من خُزَاعَةَ كانوا يعبدون الجِنَّ ويزعمون  
أن الجن تتراءى لهم أنهم ملائكة وأنهم بنات الله وهو قوله ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة  
نَسَبًا﴾ وقوله تعالى ﴿فالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا﴾ أي شفاعة ونجاة ﴿ولا ضَرًّا﴾ أي  
عذاباً وهلاكاً"<sup>4</sup>. وقال ابن كثير: "بل كانوا يعبدون الجن﴾ يعنون الشياطين لأنهم هم  
الذين رَبَّيْتُوا لَهُمْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَأَضَلُّوهم ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ كما قال تبارك وتعالى ﴿إِنْ  
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ قال الله عز وجل  
﴿فالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا﴾ أي لا يقع لكم نفعٌ من كنتم ترجون نفعه اليوم

<sup>3</sup> روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طُرُقٍ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه. انظر تفسير ابن كثير سورة التوبة  
الآية 31.

<sup>4</sup> سورة سبأ الآية 41.

من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكرهكم اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا". وقال الله ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هروث وماروت. وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر﴾. قال الدزدي عند قول خليل وسحر في باب الردة: "عرّفه ابن العربي بأنه كلامٌ يُعظّم به غيرُ الله يُنسبُ إليه المقادير والكائنات ذكره في التوضيح. وعلى هذا فقول الإمام رضي الله عنه إن تعلّم السحر وتعلّمه كفر وإن لم يعمل به ظاهرٌ في الغاية إذ تعظيم الشياطين ونسبة الكائنات إليها لا يستطيع عاقلٌ يؤمن بالله أن يقول فيه إنه ليس بكفر". وقال الله في مُحبراً عن عيسى عليه السلام ﴿وأبره الأكمة والأبرص وأحبي الموتى باذن الله﴾ وذلك نفع جليّ لعباد الله، وقال: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كنا يأكلان الطعام انظر كيف بُيّن لهم الآيات ثم انظر أنّي يُؤفكون. قل أتعبّدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾. فمن اعتقد أن عيسى عليه السلام أو غيره من المخلوقات ينفع حقيقةً بقدرته مشرك كافرٌ بالله، ومن اعتقد أن نفع غير الله مجازٌ وأن الذي يضر وينفع حقيقةً هو الله وحده لا شريك له في ذلك، مؤمنٌ موحّد.

فالشرك هو الاعتقاد أن لغير الله قدرة مستقلة وتصرّف مستقل، زعم المشرك أن ذلك الغير من جنس الله كعيسى وعزير والملائكة، أو من خلقه كالشمس والأحبار والرهبان والشیطان والجن ومريم، عبده ذلك المشرك أم لم يعبده.

وقال الله ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ قال القرطبي: "الآية ردّ على المشركين والقدرية الذين زعموا أنهم خلقوا كما خلق الله". وأما الوهابية فمن المشركين المذكورين في الآية السابقة لأنهم يعتقدون أن العبد يحدث فعل نفسه بقدرة أوضعها الله فيه. قال ابن تيمية كاذبا: "جمهور أهل السنة المثبتة للقدر من جميع الطوائف يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة وإن له قدرة حقيقية واستطاعة حقيقية وهم لا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية ... ولا يقولون إن القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يُقرون أن لها تأثيرا لفظا ومعنى"<sup>5</sup>. وقال: "فإن قيل كيف يكون الله محدثا لها - أي الأفعال - والعبد محدثا لها، قيل إحداث الله لها بمعنى أن خلقها منفصلةً عنه قائمةً بالعبد فجعل العبد فاعلا لها بقدرته ومشيتته التي خلقها

<sup>5</sup> منهاج السنة الجزء 3 ص 12.

الله تعالى، وإحداث العبد لها بمعنى أنه حدث منه هذا الفعل القائم به بالقدرة والمشيدة التي خلقها الله فيه"<sup>6</sup>. وهذا القول عين مذهب المعتزلة في المسألة حيث قالوا أن العبد محدث لأفعاله بقدرة خلقها فيه، وهو إشراك بالله كما بيَّناه في صفة الوجدانية. والفرق بين المعتزلي وغيره من المشركين أنه لا يدعي ألوهية المخلوق ولا عبادته وإن كان في الواقع يتصوره كإلهٍ باعتقاده قدرته، فَشِرْكُهُ خَفِيٌّ لَا مُعْلَنٌ بِهِ.

قال الغزالي: "كل حادث في العالم فهو فعله سبحانه وخلقته واختراعه، لا خالق له سواه ولا مُحْدِثٌ له إلا إياه. خلق الخلق وصنَّعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته"<sup>7</sup>. وقال الإمام أبو منصور البغدادي ما نصَّه: "فمن زعم أن العباد خالقون لأكسابهم فهو قدرى مشرك بربه ليدعوا أن العباد يخلقون مثل خلق الله من الأعراض التي هي الحركات والسكون والعلوم والإرادات والأقوال والأصوات، وقد قال الله عز وجل في ذم أصحاب هذا القول ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾"<sup>8</sup>. وأنكر ابن تيمية مذهب الموحدّين من أئمة أهل السنة والجماعة فقال في حق الأشاعرة: "أثبتوا كسبا لا حقيقة له فإنه لا يعقل"<sup>9</sup>، فانظر كيف لم يعقل ما هو التوحيد فرضه وفضّل عليه شرك الاعتزال، فصدق الله في قوله ﴿وَلَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، وقال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَّعْنَا لَهُ﴾.

ويقول الوهابية إن السؤال للموتى إشراك بالله خلافا لسؤال الحي. وأما المنصف يقول إما أن يكون الميت لا يمكنه أن يستجيب فيكون السؤال له عبثاً لا فائدة فيه، وإما أن يكون له إمكانٌ على الاستجابة فالسؤال له نافع، وهو الحق الثابت بالأدلة. وأما من ادعى أنه شرك بالله، فلا استناد له إلى دليل ثقلي أو عقلي. وأما الموحد فيعرف أن الموجب حقيقة هو الله سبحانه لا شريك له في ذلك وأنه لا يسند الإجابة إلى العبد إلا مجازاً وكسباً. ومن اعتقد أن الموجب حقيقة هو العبد بقدرته فقد أشرك بالله، كان ذلك الشريك حياً أو ميتاً، فقال سبحانه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾؟ فأقول لهؤلاء الذين يعتقدون نفع الأحياء من دون الله ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا

<sup>6</sup> منهاج السنة الجزء 3 ص 239.

<sup>7</sup> الإحياء الجزء 1 ص 146.

<sup>8</sup> الفرق بين الفرق، ص 339.

<sup>9</sup> مجموع الرسائل الكبرى الجزء 1 ص 368.

الجاهلون. ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحيطنَّ عملك ولتكوننَّ من الخاسرين. بل الله فاعبُد وكن من الشاكرين ﴿١٠﴾.

فتمحص ذهيان الوهابية الذين هم في طغيانهم يعمهون، فعندهم شرك لا يرونه شركاً يدينون به وهو تأهل الحى الذي يخلق أفعاله بزعمهم فيستحقُّ العبادة فيدعونه ويستعينون بقدرته. وعندهم شرك يرونه شركاً وهو عبادة الميت، فلا يستحق العبادة لعدم قدرته فهو كالصنم، ولذلك لم يكفروا عابد الحى وكفروا عابد الميت، ولطمس بصيرتهم وعدم حظهم في التوحيد كفروا من أخذ بالأسباب التي أجزاها الله في خلقه دون أن يعبد حياً ولا ميتاً، ويعبد الله وحده لا شريكه. واجتهدوا في إضلال عباد الرب وإخراجهم من التوحيد فطرتهم زاعمين أن سؤال الحى ليس شركاً وسؤال الميت شركٌ وعبادة الله وحده شركٌ فقلَّبوا لهم أمر التوحيد بتصويرهم لهم ما ليس بشركٍ شركاً وأن التوحيد شركٌ، وكلُّ امرئٍ ميسرٌ لما خُلِقَ له، ﴿الذين ءامنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

مثال نسبة الفعل إلى الله حقيقة وإلى العبد مجازاً الإطعام، فالمطعم حقيقة هو الله سبحانه لا شريك له في ذلك. قال ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ وقال إبراهيم عليه السلام محدثاً بنعمة ربه ﴿والذي يطعمني ويسقين﴾ ويُنسبُ الإطعام إلى العبد مجازاً وكسبا كما قال الله ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً﴾، فهل من طلب من عبد أن يطعمه مشركٌ؟ لا إن اعتقد أن المطعم حقيقة هو الله سبحانه، ونعم إن اعتقد أن المطعم حقيقة هو العبد، كما يقوله المعتزلة ومن شاكلهم. ومن قال من الوهابية هو مؤمن إن طلب من حى وكافر إن طلب من ميت، فذلك برهان على تلويث توحيده، وأنه يعتقد للحى قدرة مستقلة عن قدرة الله، وأن إشراك الحى لله ليس بإشراك، وأن إشراك الميت لله فهو إشراك، لأن الميت لا يقدر على شيء فهو كصنم فالطلب له شرك. والحق أن من اعتقد وجود قدرة لشيء من دون الله مشرك، فلا ينسب الأفعال إلى العباد إلا كسباً ومجازاً، ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾، ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قالوا الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أتم إلا في ضلال مبين﴾، فهؤلاء المشركون يعتقدون أن لهم قدرة تنصرف من دون الله وأنهم إذا أطعموا فليس الله الذي أطعم، وينسبون للموحدين الضلالة لطمس بصيرتهم.



ومن أمثلة انتساب الفعل إلى الله حقيقة وإلى العبد مجازاً الاستعانة والاستغاثة. قال تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "وإذا سألت فاسأل الله"<sup>10</sup>، وقال تعالى ﴿فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾، وقال ﴿أيا مُرُكُم﴾ ﴿بالكفر بعد إذ أتم مسلمون﴾، فما هو الجواب، نعم أم لا؟ وقال حكايةً عن قصة موسى عليه السلام ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ أي اليهودي ﴿على الذي من عدوه﴾ أي المصري، فهل كفر اليهودي لاستغاثته بغير الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما سقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد: أعينوني يا عباد الله"<sup>11</sup>، وقال الحيثمي: "رجاله ثقأت"<sup>12</sup>. وقال الشوكاني: "وفي الحديث جواز الاستعانة بمن لا يراه الإنسان من عباد الله من الملائكة وصالحى الجن، وليس بذلك بأس كما يجوز للإنسان أن يستعين ببنى آدم إذا عثرت دابته أو انفلتت"<sup>13</sup>. وقال الإمام النووي: "روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا انتفلت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل في الأرض حاصراً سيخسبسه. قلت: حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انتفلت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقال له فحبسها الله عليهم في الحال. وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام"<sup>14</sup>. فهل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم والشوكاني والنوي، أو ليس هذا إلا من أخذ الأسباب التي أوضعها الله في خلقه، وأن في توحيد الوهابية خلل ونقص؟ وقال محمد الجرداني الدمياطي: "فمن استعان بغير الله واستند إليه فهو مخذول ولا يزال نازلاً عن منازل العز والشرف متباعداً عن مولاه. نعم، إن كان مشهده أن إعانة الخلق له من الله فاستعان بالله في الباطن وبالخلق في الظاهر فلا يضره ذلك لأن الله تعالى أجرى عادته

<sup>10</sup> رواه الترمذي عن ابن عباس.

<sup>11</sup> رواه البزار عن ابن عباس.

<sup>12</sup> مجمع الزوائد الجزء 10 ص 188.

<sup>13</sup> تحفة الذاكرين الجزء 1 ص 234.

<sup>14</sup> كتاب الأذكار ص 200.

بأنه يُعِينُ عبده بواسطة وغير واسطة، فعليك يا أخي بالذلل والافتقار إلى الله فإنه الذي يغيثك وينجيك من الشدائد وإن أجمع كلُّ الخلق على ضُرِّكَ" <sup>15</sup>.

قال الله مُبَيِّنًا أنه المحيب وحده: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كالأصنام والناس تطلبون منهم نفعكم ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدِ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأكُمْ﴾ لأنه الفاعل حقيقة فكأنكم آلت لا حياة لها، مقبوضة بقدرة الحي الذي لا يموت ولا يفنى ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾. قال الرازي في تفسير ﴿ولا تكونن من المشركين﴾: "واعلم أنه لا يمكن أن يكون هذا نهيًا عن عبادة الأوثان لأن هذا صار مذكورًا بقوله تعالى في هذه الآية ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فوجب حَصلُ هذا الكلام على فائدة زائدة وهو أن مَنْ عرف مولاه فَلَوِ التَفَّتْ بعد ذلك إلى غيره كان ذلك شركًا، وهذا هو الذي يُسَمِّيهِ أصحابُ القلوب بالشرك الخفي ... ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾: والممكن بذاته معدومٌ بالنظر إلى ذاته، وموجودٌ بإيجاد الحق. فإذا كان كذلك فما سوى الحق فلا وجود له إلا بإيجاد الحق، وعلى هذا التقدير فلا نافع إلا الحق ولا ضار إلا الحق، فكل شيء هالكٌ إلا وجهه. وإذا كان كذلك فلا حكم إلا لله ولا رجوع في الدارين إلا إلى الله. ثم قال في آخر الآية: ﴿فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾، يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، فإذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعًا للشيء في غير موضعه فيكون ظلمًا" <sup>16</sup>. فلا يدعى غيرُ الله إلا مجازًا، ولا تُنسبُ الاستجابة والنفع والضرر إلى غير الله إلا مجازًا، فلا مدعُو ولا مُجيب حقيقة إلا الله لا شريك له.

وقال الله مُوَكِّدًا لذلك: ﴿مثلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياءَ كمثل العنكبوتِ اتخذت بيتًا وإنَّ أوهنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون﴾، فشبه الله وهنَّ ما عُبِدَ من دونه بوهن بيت العنكبوت، فإن خيوط نسجه شقافة ضعيفة لا تقى من شيء، فهو أقرب إلى العدم من الوجود. وكذلك الأنداد لا فائدة في اللجوء إليهم لعدم قدرتهم على

<sup>15</sup> الجواهر اللؤلؤية شرح الحديث 19 ص 149.

<sup>16</sup> مفاتيح الغيب سورة يونس الآية 106.

الحماية، ولو كان المشركون يعلمون ذلك ما اعتقدوا فيهم النفع وتَوَجَّهوا بدعائهم إلى الله الواحد القهار وحده، لِعَلِّمَهُمْ أَنَّهُ لَا مُوجِبَ إِلَّا هُوَ، وَإِنْ نُسِبَتِ الْإِجَابَةُ إِلَى خَلْقِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مَجَازًا لِخَلْقِ اللَّهِ أَفْعَالًا فِيهِ. ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فمن المعاني الْمُحْتَمَلَةَ بجعل "ما" نافية: الله يعلم أنهم يتوهمون وجودَ شركاء يدعونهم كما يُتَوَهَّمُ أَنَّ لِنَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ حَقٌّ أَنْ يُسَمَّى بَيْتًا، ولكن في الحقيقة لا يدعون دون الله شيئاً لأنه لا إله إلا هو، ولا مُوجِبَ حَقِيقَةٍ إِلَّا هُوَ، فلا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ لِعَدَمِ وَجُودِ إِلَهٍ غَيْرِهِ، فهو المعبود حقاً دائماً ولو كره المشركون وتخيَّلوا وجودَ الأنداد. فلا تُدْعَى المخلوقات من دون الله إلا للاعتقاد أن لها قدرة فاعلة مستقلة، ولكن لا قدرة حقيقة ولا فعل إلا لله وحده، وذاتُ الله العلية مصاحبة لكل شيء ﴿وَأَيْنَا تُؤَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، فيدعو المشركُ المخلوق وَيَتَّجِهُ إِلَيْهِ معتقداً أنه صاحب تلك القدرة، فيقصد بدعائه صاحبَ القدرة الذي يَرْجُو منه قضاءَ حوائِجِهِ، فلا يدري أن صاحبها الله وأنه لا يدعو إذا سواه الواحد القهار، ولا يَتَّجِهُ إِلَّا إِلَيْهِ. ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ الذين كُشِفَتْ لَهُمْ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ فامتلوا لأمر الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وقال الله لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فتنسبونَ إلى غيره تأثيراً لأنكم تُخَدَعُونَ بالظواهر، وهو الله المتصرف وحده ولا يُنسَبُ الفعلُ إلى غيره إلا مجازاً ﴿أَلَا لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، أي لا يتبعون شركاء لعدم وجودهم إلا في اعتقادهم الباطل، قال الرازي: "والمعنى أنهم ما اتبعوا شريكَ الله تعالى إنما اتبعوا شيئاً ظنوه شريكاً لله تعالى. مثاله أن أحداً لو ظن أن زيدا في الدار وما كان فيها فخطب إنساناً في الدار ظنه زيدا فإنه لا يقال إنه خاطب زيدا بل يقال خاطب من ظنه زيدا" <sup>17</sup>، فقال الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ كوجود شريك له ﴿أَوْ كَذَبَ بآيَاتِهِ﴾ التي تُبَيِّنُ وحدانيته ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

وقال الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ أي مخلوقين لا قدرة لهم على نفعكم، فلا يستحق الدعاء إلا المحيب وهو الله وحده، فمن اعتقد أن غيره يجيب فهو مشرك عابد لذلك الغير، حيا كان أو ميتاً. ثم قال ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

<sup>17</sup> مفاخ الغيب سورة يونس الآية 66.

صادقين ﴿ في كون الأصنام آلهة. ثم بين أن اعتقاد ألوهية الأصنام أبعد في المعقول من اعتقاد ألوهية الحي لأن الله يخلق فيه أفعالا توهم للعزلي ومثله أنه إله لكونه خالقا لأفعاله خلافا للصنم فهو مخلوق لا فعل له، فكان ينبغي في زعم المشركين أن يكون المخلوق الحي أحق أن يشرك بالله من الصنم، فقال ﴿أم لهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبسطون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها﴾، أي فكيف إذا أبيتم إلا الشرك أشركتم ما هو أدنى منكم مرتبة ولم تشركوا أنفسكم، فإنكم أولى أن تشركوا من الأصنام؟ قال القرطبي في تفسير قول الله ﴿والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء﴾: "أي هم أموات، يعني الأصنام، لا أرواح فيها ولا تسمع ولا تبصر، أي هي جهادات فكيف تعبدونها وأنتم أفضل منها بالحياة"<sup>18</sup>. أما الموحّد فلا يعتقد ألوهية الحي والميت والصنم ويطلب من الحي وقد يطلب من الميت أخذا بالأسباب التي أوضعها الله في خلقه، ويعتقد أن الفعال حقيقة هو الله وحده. قال الله ﴿أشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون﴾ أي الأصنام. وقال إبراهيم عليه السلام ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾، ﴿وما أنا من المشركين﴾ فمن اعتقد أن العبد يخلق أفعاله آلهة، وهو ما يلزمه قول المعتزلة.

### إبطال تقسيم التوحيد إلى ثلاثة

فتلك النصوص السابقة مبطلّة لما ابتدعه ابن تيمية وخالف به السلف الصالح من تقسيم التوحيد إلى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وقال إن الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف في أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله﴾. وما قاله ابن تيمية نتيجة قصور نظره في النصوص وإهماله جُلّها، فلا يمنع اعتراف المشركين بأن الله هو خالق السموات والأرض من أن يعتقدوا وجود آلهة أخرى لها قدرة وتأثير من دون الله، وإن كان الله هو الإله الأكبر الخالق للسموات والأرض ومالك كل شيء لقوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفا﴾، وكانت تلبية قريش للحج في الجاهلية: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك" فلا يمنع كون الآلهة ملكاً لله رب العالمين أن تكون شركاء له، فكل إله عندهم

<sup>18</sup> تفسير القرطبي سورة النحل الآية 21.

مستحق للعبادة، وإن كان الله الإله الأكبر أحق بها من غيره من الآلهة، ولذا ابتغوا القرب منه بعبادة الألهة الصغرى، فإن من أسباب عبادة الكفار الأصنام زعمهم أنها تقرب إلى الله، كما أنه من أسبابه اعتقادهم نفعها ونصرها عند الشدائد. قال ابن كثير في تفسير قول الله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خيرا اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه﴾: "أي من الأصنام والأنداد يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها وهي لا تنفعه ولا تضره"<sup>19</sup>. فقال تعالى ﴿فلو لا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً ءالها﴾، قال ابن كثير: "أي فهل نصرهم عند احتياجهم إليهم؟".

ولما أراد إبراهيم عليه السلام أن يبطل عبادة الأصنام كسرها إلا أكبرها، لعل قومه يعتقدون أنه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام الصغار، فقال تعالى ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾. فأراد بذلك إقامة الحجة عليهم بأن ما لا يقدر على دفع الشر عن نفسه لا ينبغي أن تُعتمد قدرته على دفعه عن غيره، ف﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم. أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾. وكان مما قال أبو سفيان بن حرب حين أراد الانصراف بعد المعركة يوم أُحد: "أعل هبل - أي أظهر دينك، وهبل صنم بمكة - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قم يا عمر فاجبه فقل: الله أعلى وأجل"<sup>20</sup>. وهذا جلي في اعتقاد المشركين أن الآلهة تضر وتنفع، فتستحق بذلك أن تُعبد من دون الله.

قال العلامة يوسف الدجوي ناصر السنة مخبراً عن الوهابية: "قولهم إن التوحيد ينقسم إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية تقسيم غير معروف لأحد قبل ابن تيمية وغير معقول أيضاً كما ستعرفه، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد دخل في الإسلام إن هناك توحيدين وإنك لا تكون مسلماً حتى تؤحد الألوهية ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة ولا سُمع ذلك عن أحد من السلف الذين يتبعون باتباعهم في كل شيء. ولا معنى لهذا التقسيم، فإن الإله الحق هو الرب الحق، والإله الباطل هو الرب الباطل، ولا يستحق العبادة والتأليه إلا من كان رباً، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك كما قال تعالى ﴿رب السموات والأرض وما بينهما

<sup>19</sup> سورة الحج الآية 12.

<sup>20</sup> انظر تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ص 150.

فَاعْبُدْهُ واصطبر لعبادته هل تعلم له سَمِيًّا ﴿١﴾، فَرْتَّبَ العبادةَ على الربوبية، فإننا إذا لم نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نَعْبُدَهُ ... أما القرآن فقد قال ﴿ولا يأمرمكم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ فصرح بتعدد الأرباب عندهم، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً يقول ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب إنهم موحدون توحيد الربوبية وليس عندهم إلا رب واحد وإنما أشركوا في توحيد الألوهية!

ويقول يوسف عليه السلام لصاحبي السجن وهو يدعوها إلى التوحيد ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ ... وانظر إلى قولهم يوم القيامة: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسوِّيكم برب العالمين﴾ أي في جعلكم أرباباً كما هو ظاهر إلى غير ذلك وهو كثير لا نطيل بذكره<sup>21</sup>. فإذاً ليس عند هؤلاء الكفار توحيد الربوبية - كما قال ابن تيمية - وما كان يوسف عليه السلام يدعوهم إلا إلى توحيد الربوبية لأنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام، فهل هم أعرف بالتوحيد منه ويجعلونه مخطئاً في التعبير بالأرباب دون الآلهة؟ وأما السنة فسؤال الملكين للميت عن ربه لا عن إله لأنهم لا يفرقون بين الرب والإله، فإنهم ليسوا بتيميين ولا متخبطين، وكان الواجب على مذهب هؤلاء أن يقولوا للميت: مَنْ إلهك، لا من ربك، أو يسألوه عن هذا وذاك ...

وأما قوله ﴿ولئن سألتهم مَنْ خلق السموات والأرض ليقولنَّ اللهُ﴾، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم إجابة لحكم الوقت مضطرين لذلك بالحجج القاطعات والآيات البينات. ولعلمهم نطقوا بما لا يكاد يستقر في قلوبهم أو يصل إلى نفوسهم بدليل أنهم يُقْرئُونَ ذلك القول بما يدل على كذبهم وأنهم ينسبون الضر والنفع إلى غيره، وبدليل أنهم يجهلون الله تمام الجهل ويقدمون غيره عليه حتى في صفات الأمور، وإن شئت فانظر إلى قولهم لهُودَ عليه الصلاة والسلام ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾، فكيف يقول ابن تيمية إنهم معتقدون أن الأصنام لا تضر ولا تنفع إلى آخر ما يقول! ...

نقول لهم بعد هذا: على فرض أن هناك فرقا بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية - كما يزعمون - فالتوسل لا ينافي توحيد الألوهية فإنه ليس من العبادة في شيء لا لغة ولا

<sup>21</sup> تدبر قول الله ﴿اتخذوا أحبارهم وزهباهم أرباباً من دون الله ومسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً سبحانه وتعالى عما يُشركون﴾ فأنتى يكون لابن تيمية التفرقة بين الإله والرب؟ ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

شرعا ولا عرفا ولم يقل أحد إن النداء أو التوسل بالصالحين عبادة، ولا أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يُجْزُ بالحلي ولا بالميت. فإن تشبث بتشبت بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة، قلنا له: حفظت شيئا وغابث عنك أشياء، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط، في كل شيء مع أن العالم مبني على الحكمة التي وضعت الأسباب والمسببات في كل شيء، ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة - وهي معلومة من الدين بالضرورة - فإنها على هذا الرأي لا حاجة إليها إذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة فإنه أقرب من الواسطة، ويلزم خطأ عمر بن الخطاب في قوله إنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس إلخ، وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهذا خلاف السنة الإلهية التي قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين، فإنه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط بل هم أشد الناس تعلقا بها واعتمادا عليها.

ولا يفوتنا أن نقول إن التفرقة بين الحلي والميت في هذا المقام لا معنى لها فإن المتوسل لم يطلب شيئا من الميت أصلا وإنما طلب من الله متوسلا إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك، فهل في هذا كله تأليه للميت أو عبادة له، أم هو حق لا مزية فيه؟ ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون، كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين، وانظر كتب المذاهب الأربعة، حتى مذهب الحنابلة في آداب زيارته صلى الله عليه وسلم تجدهم قد استحبوا التوسل به إلى الله تعالى، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المركز في الفطر مخالفا في ذلك العقل والنقل<sup>22</sup>

### حقيقة فرقة الوهابية

وأحلَّ الوهابية المنحرفة عقيدتهم دم المسلمين ورؤمهم بالكفر فقتلوهم تقتيلا. ومن براهين إجرامهم ما كتب سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود حفيد مؤسس الدولة السعودية الأولى إلى وزير البغداد، ونصه ما يلي: "ثم بعد ذلك مشينا ونزلنا على بلدك البصرة وأقمنا بها عشرة أيام وذبحنا ودمرنا ما بلغك علمه ... وقعدت جموع المسلمين حتى وصلت قريبا من خان ذبلة، وكل من لقوه وضعوا عليه السيف، ومن خان ذبلة إلى

<sup>22</sup> انظر فقد تقسيم التوحيد إلى ألوهية وربوبية للدجوي.

البصرة، أقمنا بها قريبا من عشرين ليلة، نأخذ ونقتل من رعاياك الحاضر والبادي، والأثر يدل على المؤثر انظر ديارك الفلاحين والبوادي، من بغداد إلى البصرة، كم دُمِّرت من الديار ولم يبق فيها أثر والله الحمد والمنة كلَّ جميع هذه الجهة. وما ذكرت من جهة الحرمين الشريفين، الحمد لله على فضله وكرمه حمدا كثيرا كما ينبغي أن يحمد وعز جلاله، لما كان أهل الحرمين آيين عن الإسلام، وممتنعين عن الانقياد لأمر الله ورسوله، ومقيمين على مثل ما أنت عليه اليوم من الشرك والضلال والفساد، وجب علينا الجهاد بحمد الله فيما يزيل ذلك عن حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم من غير استحلال حرمتها"<sup>23</sup>.

وقال ابن العابدين الحنفي في مطلبه في اتباع محمد بن عبد الوهاب الخوارج في زمانه: "كما وقع في زماننا في اتباع - محمد بن - عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، ولكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون واستباحوا بذلك قتل أهل السنة وقتل علماءهم"<sup>24</sup>. فهكذا الوهابية يرمون أهل السنة والأولياء بالشرك وهم أولى به كما بيَّناه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الخوارج: "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم"، وقال: "يقروون القرآن لا يجوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يَمْرُقون من الإسلام كما يَمْرُق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"<sup>25</sup>. فمَنْزِلَةُ هذا القوم من الإسلام كمنزلة السهم من الرمية التي قد مرق منها، أي نفذ من الرمية من جهته أخرى ولم يتعلّق بالسهم شيء منه كأنّ السهم لم يُصِبْه أصلا، فشِدَّةُ إصابتهم الإسلام في الظاهر هي في الحقيقة خروج منه.

وقال البعض أن الحديث التالي يُشير إلى ظهور الوهابية في نجد، وهو عن ابن عمر قال: "ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظْنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتْنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"<sup>26</sup>.

<sup>23</sup> الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن محمد بن القاسم الجزء 9 ص 280 إلى 285.

<sup>24</sup> رد المحتار لابن العابدين كتاب الجهاد باب البغاة. الجزء 4 ص 262.

<sup>25</sup> رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

<sup>26</sup> رواه البخاري.



قال الصاوي المالكي في تفسير قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾: "وقيل هذه الآية نُزِّلَتْ في الخوارج الذين يُحَرِّفُونَ تَأْوِيلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَسْتَحِلُّونَ بِذَلِكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَمَا هُوَ مَشَاهِدٌ الْآنَ فِي نِظَائِرِهِمْ وَهُمْ فِرْقَةٌ بِأَرْضِ الْحِجَازِ يُقَالُ لَهُمُ الْوَهَّابِيَّةُ ﴿يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحُوزَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، نَسَأَلَ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَنْ يَقْطَعَ دَابِرَهُمْ"<sup>27</sup>. وقوله: "لَمَا هُوَ مَشَاهِدٌ الْآنَ فِي نِظَائِرِهِمْ وَهُمْ فِرْقَةٌ بِأَرْضِ الْحِجَازِ يُقَالُ لَهُمُ الْوَهَّابِيَّةُ ﴿يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾" محذوفٌ من الجزء 3 الصفحة 379 في طبعة دار الفكر سنة 1993، وذلك مثال من أمثلة كثيرة لتحريف الوهابية لما لا يوافق هواهم، وقد أشارنا إلى تحريفهم لقول النووي في التعليق رقم 210 في زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام تاج الدين السبكي: "وفي المبتدعة لا سيما المجسمة زيادة لا توجد في غيرهم، وهو أنهم يرون الكذب لنصرة مذهبهم والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه في نفسه وماله بالكذب تأييدا لاعتقادهم، ويزداد حنقهم وتقريهم إلى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم، فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم ... وقد تزايد الحال بالخطابية وهم المجسمة في زماننا هذا، فصاروا يرون الكذب على مخالفهم في العقيدة لا سيما القائم عليهم، بكل ما يسوءه في نفسه وماله. وبلغني أن كبيرهم استفتي في شافعي: أيشهد عليه بالكذب فقال: ألسنت تعتقد أن دمه حلال؟ قال: نعم، قال: فما دون ذلك دون دمه، فاشهد وادفع فسادَه عن المسلمين. فهذه عقيدتهم، ويرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة، ولو عدُّوا عددا لما بلغ علماءهم ولا عالم فيهم على الحقيقة مبلغا يعتبر، ويكفرون غالب علماء الأمة ثم يعتزون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو منهم بريء، ولكنه كما قال بعض العارفين ورأيتُه بخط تقي الدين بن الصلاح: إمامان ابتلاههما الله بأصحابهما وهما بريئان منهم: أحمد بن حنبل ابْتُئِلَ بالمجسمة وجعفر الصادق ابتلي بالرافضة .... وقد وصل حال بعض المجسمة في زماننا إلى أن كُتِبَ شرح صحيح مسلم للشيخ محيي الدين النووي وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات، فإن النووي أشعريُّ العقيدة فلم تحمِلِ قِوَى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه

<sup>27</sup> حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، الجزء 5 ص 78.

مُصَنَّفُهُ، وهذا عندي من كبار الذنوب فإنه تحريفٌ للشريعة وفتحُ بابٍ لا يُؤْمَنُ معه بِكُتُبِ الناس وما في أيديهم من المصنفات، فقبح الله فاعله وأخزاه"<sup>28</sup>.

والخلاصة أن الوهابية جمعت بدعةً تكفير الخوارج أهل السنة وتجسيم المشبهة الله بخلقه والشرك المعتزلة داعين أن العبد خالق لأفعاله، ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾، ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فخلفوا السلف الصالح في عقيدتهم: ﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. وكذلك خالفهم في كثير من مسائل الفقه كخرق ابن تيمية الإجماع على وقوع الطلاق الثلاث في كلمة طلاقة واحدة، وتركوا مذاهب أئمة السلف أبي حنيفة (150 هـ 767 م) ومالك (179 هـ 796 م) والشافعي (204 هـ 820 م) وأحمد بن حنبل (241 هـ 855 م) والأشعري (324 هـ 936 م) رضي الله عنهم، وعدلوا عن ذلك بمذاهب من انحراف من الخلف كابن تيمية (728 هـ 1328 م) ومحمد بن عبد الوهاب (1206 هـ 1792 م) وابن باز (1420 هـ 1999 م) والألباني (1420 هـ 1999 م). فلا يجوز أن يُسَمَّوا السلفية لأن الكذب حرام، بل هم الوهابية نسبةً إلى ابن الوهاب. قال ابن عبد السلام سلطان العلماء في الملحة في اعتقاد أهل الحق: "والحشوية المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ضربان: أحدهما لا يتحاشى من إظهار الحشو ﴿يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾، والآخر يتستر بمذهب السلف لسُخْتِ يأكله أو حطام يأخذه: أظهروا للناس نُسكاً وعلى المنقوش داروا ﴿يريدون أن يأمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾، ومذهبُ السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه. وكذلك جميع المبتدعة يزعمون أنهم على مذهب السلف، فهم كما قال القائل: وَكُلُّ يَدْعُونَ وَصَالَ لَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ"<sup>29</sup>.

### Démonstration de la corruption du *tawhîd* des *wahhâbiyyah*

L'imâm, l'érudit, le secourer de la *sounnah Ahmad Dahlân*, le mouftî *châfi'iy* de *Makkah* l'honorée a dit dans son livre *khoulâsatou lkalâm fi amri baladi lharâm* en réfutant les mensonges des *wahhâbiyyah* et de leurs semblables : « il convient premièrement que nous évoquions les ambigüités sur lesquelles s'est appuyé *ibn 'abd Alwahhâb* afin d'égarer les serviteurs, puis nous évoquerons comment nous les réfutons en disant que tout ce sur quoi il s'est appuyé n'est que mensonge, imposture et tromperie envers le commun des monothéistes. Parmi les ambigüités sur lesquelles il s'est appuyé, son affirmation que les gens sont des associateurs s'ils pratiquent le *tawassoul* par le Prophète, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, ou un autre prophète,

<sup>28</sup> طبقات الشافعية الكبرى الجزء 2 ص 16.

<sup>29</sup> انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي الجزء 8 ص 222.

par les saints et les vertueux, ou s'ils visitent sa tombe, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, ou s'ils l'appellent par leur parole : ô Envoyé d'*Allâh*, nous te demandons l'intercession. Il a prétendu que tout cela est de l'association et a appliqué les versets coraniques révélés au sujet des associateurs à l'élite et au commun des croyants, comme la parole du Très-Haut : {n'invociez donc pas avec *Allâh* autre que Lui} [...] et Sa parole {n'invocque pas en dehors d'*Allâh* ce qui ne te cause ni bien ni mal, et si tu le fais tu feras partie des injustes}. [...] Et il a donné à la visite de la tombe du Prophète, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, le même statut que cela. Il a dit concernant la parole du Très-Haut qui mentionne les associateurs et les prétextes qu'ils avancent pour justifier leur adoration des idoles {nous ne les adorons que pour qu'elles nous rapprochent d'*Allâh*}, que ceux qui font le *tawassoul* sont comme ces associateurs qui disent {nous ne les adorons que pour qu'elles nous rapprochent d'*Allâh*}, et que les associateurs ne croyaient pas que les idoles créaient quoi que ce soit mais croyaient plutôt que le Créateur était *Allâh* le Très-Haut, comme le démontre la parole du Très-Haut : {si tu leur demandais qui les a créés, certes ils diraient : *Allâh*} [...] et qu'*Allâh* n'a décrété leur mécréance et leur associationnisme qu'à cause de leur parole {afin qu'elles nous rapprochent d'*Allâh*}, et qu'il en est de même pour ceux-là.

C'est ainsi que *Mouhammad ibn 'abd Alwahhâb* et ceux qui l'ont suivi ont argumenté contre les croyants, mais c'est un argument nul et non avénu, car les croyants ne prennent pas les prophètes, sur eux la prière et la paix, ni les saints comme divinités et n'en font pas des associés à *Allâh*, mais ils croient plutôt qu'ils sont des esclaves d'*Allâh* qu'Il a créé et ils ne croient pas qu'ils méritent l'adoration, ni qu'ils créent quoi que ce soit, ni qu'ils ont la capacité de causer du bien ou du mal, mais leur intention n'est que de rechercher la bénédiction parce qu'ils sont les bien-aimés d'*Allâh* et Ses rapprochés qu'Il a choisis et élus, et qu'*Allâh* fait miséricorde à Ses esclaves par leur bénédiction. [...] La croyance des musulmans est que le Créateur causant bien ou mal est *Allâh* seul. Ils croient que le seul à mériter l'adoration est *Allâh* et ils ne croient pas qu'autre que Lui ait une quelconque efficence. Quant aux associateurs, ceux au sujet desquels les versets précédents ont été révélés, ils prenaient les statues comme divinités, et la divinité désigne ce qui mérite d'être adoré, et ils croyaient donc que les statues méritaient l'adoration, [...] et c'est cela qui les a fait tomber dans l'association. [...] Maintenant que tu sais cela, tu sais que tous les versets précédemment cités et les autres versets semblables sont spécifiques aux mécréants associateurs et ne concernent aucun croyant<sup>30</sup> ».

Ce qui fit tomber les associateurs dans la mécréance est leur croyance que les idoles sont des divinités méritant l'adoration en dehors d'*Allâh*, pureté à lui, puisqu'ils dirent {nous ne les adorons que pour qu'elles nous rapprochent d'*Allâh*} ils en ont donc fait des divinités et des intercesseurs. Quant aux musulmans, ils n'ont fait de l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, qu'un intercesseur car ce sont des unificateurs qui n'associent rien à la déité d'*Allâh*. Les musulmans ne disent donc pas : « nous n'adorons l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, que pour qu'il nous rapproche d'*Allâh* », mais ils disent : « nous ne faisons de l'Envoyé d'*Allâh* un intercesseur que pour qu'il nous rapproche d'*Allâh* ». Ce qui est prohibé et donc d'invocuer autre qu'*Allâh* en tant qu'adoration seulement, sinon un individu serait associateur s'il en invoquait un autre pour une affaire quelconque, alors qu'il n'en est pas ainsi, mais l'invocation et l'appel qui surviennent entre nous ne sont que des causes habituelles qu'*Allâh* a instituées dans sa création. Le verset qui dit {nous ne les

<sup>30</sup> Voir *Chawâhid alhaqq fi l'istighâthati bisayyidi lkhalq* d'Annabhâniyy chapitre 3 page 75.

adorons que pour qu'elles nous rapprochent d'*Allâh*} explique que le *chirk* est d'adorer autre qu'*Allâh*, mais non le simple fait de l'invoquer ou de l'appeler.

La parole d'*ibn 'abd Alwahhâb* disant que ceux qui font le *tawassoul* par l'Envoyé d'*Allâh* sont injustes comme les associateurs car *Allâh* a dit {n'invoque pas en dehors d'*Allâh* ce qui ne te cause ni bien ni mal, et si tu le fais tu feras partie des injustes} est mensonge car les idoles n'ont pas de puissance véritable ni figurée leur permettant de répondre, il n'y a donc pas de profit à les invoquer car elles ne répondent pas. Quant à ceux qui font le *tawassoul*, ils invoquent l'Envoyé en vue de l'intercession et cela leur est profitable car *Ibn Kathîr* a dit dans son exégèse de la parole d'*Allâh* : « {et ce que vous invoquiez en dehors d'*Allâh*} c'est-à-dire les dieux et les statues {ne possèdent pas l'intercession} c'est-à-dire qu'ils n'ont pas le pouvoir d'intercéder pour eux {sauf ceux qui ont attesté de la vérité et qui savent} ceci est une exception *mounqati'* (où ce qui est excepté n'est pas du même genre que ce dont on l'excepte), et cela signifie : mais ceux qui attesteront de la vérité par clairvoyance et science, alors leur intercession sera bénéfique auprès de Lui à cause de la permission qu'Il leur donnera ». Il s'agit de *'Îsâ*, sur lui la paix, de *'Ouzayr* et des anges, ainsi que de la totalité des Prophètes, des saints et des martyrs, car ils ont une puissance figurée leur permettant d'intercéder pour ceux qui les invoquent tout en croyant qu'ils sont des intercesseurs auprès d'*Allâh*, mais non Ses associés. Il s'avère donc à la suite de tout cela qu'il n'y a pas de point de comparaison entre les associateurs et ceux qui font le *tawassoul* avec l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, sauf chez les égarés qui égarent, les rancuniers envers les musulmans comme *ibn 'abd Alwahhâb*.

Le fait qu'*ibn 'abd Alwahhâb* utilise la parole d'*Allâh* {nous ne les adorons que pour qu'elles nous rapprochent d'*Allâh*} pour affirmer que les associateurs ne prêtaient pas aux idoles de puissance ni d'influence, de même que les musulmans ne croient pas que l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, ait une efficience et que tous sont unanimes pour affirmer que l'efficience ne revient qu'à *Allâh* seul et qu'il n'y a donc pas de différence entre les associateurs et ceux qui font le *tawassoul* dans la croyance, cette revendication revient à mécroire en beaucoup de versets coraniques et de *hadîth* prophétiques comme tu le verras. La restriction évoquée dans le verset précédent ne se limite pas au fait de se rapprocher d'*Allâh* mais les associateurs se focalisaient sur un objectif particulier dans leur adoration des idoles selon le besoin du moment, soit se rapprocher d'*Allâh* par leur intercession auprès de Lui en leur faveur, soit en cherchant l'assistance de leur puissance et de leur secours à un autre moment. Les polythéistes adoraient donc les statues parce qu'ils les considéraient comme des divinités possédant un pouvoir et une influence en dehors d'*Allâh* le Très-Haut, même s'ils reconnaissaient que leur créateur était *Allâh*, la plus grande divinité. Un envoyé dit à son peuple en les invitant à l'adoration d'*Allâh* seulement : {Prendrais-je en dehors de Lui des divinités ? Si le très Miséricordieux me veut du mal, leur intercession ne me profite en rien, et elles ne me secourent guère. Je serai alors certes dans un égarement évident}, et leur expliqua donc que leurs divinités n'ont ni intercession ni pouvoir, contrairement à ce qu'ils croyaient.

Il fait partie de ce qui confirme que les associateurs croyaient au pouvoir des idoles ce qu'a dit *Ibn Kathîr* dans son exégèse au sujet de la parole d'*Allâh* {Nous ne voyons pas avec vous vos intercesseurs, ceux que vous prétendiez être parmi vous des associés} : « c'est pour eux une opprobre et un blâme parce qu'ils prirent dans ce bas monde des égaux, idoles et statues en pensant qu'ils leur causaient un bien dans leur vie et dans l'au-delà ». Il en est de même de Sa parole, pureté à Lui, relatant la réponse du peuple de *'Âd* au prophète *Hôud*, sur lui la paix, lorsqu'il les appela à

l'unicité d'*Allâh* { nous disons seulement que certaines de nos divinités t'ont touché d'un mal. Il dit : certes je prends *Allâh* comme témoin et soyez témoins que je suis innocent de ce que vous associez en dehors de Lui}, car certes vos divinités ne causent ni bien ni mal contrairement à ce que vous croyez. Puis Il dit : {certes les '*Ād* ont mécré en leur Seigneur}, en lui donnant comme associés des idoles qu'ils adorèrent en croyant qu'elles étaient des divinités qui causent du mal et du bien en dehors d'*Allâh* et qu'elles méritaient donc l'adoration à cause de cela. Le Très-Haut a dit : {ils adorent en dehors d'*Allâh* ce qui ne leur cause ni bien ni mal}. Et Il a dit en traitant de mensonge leur croyance que les idoles répondent à ceux qui leur demandent ce dont ils ont besoin et qu'elles possèdent une part du règne en dehors d'*Allâh* : {qui est plus égaré que ceux qui invoquent en dehors d'*Allâh* ceux qui ne leur répondront pas jusqu'au jour de la résurrection et qui sont distraits de leur invocation ? Et lorsque les gens seront rassemblés, ils seront pour eux des ennemis et renieront leur adoration}. {Dis : invoquez ceux que vous prétendez} être des divinités {en dehors d'*Allâh*, ils ne peuvent vous préserver du mal ni opérer de changement}. Et Il a dit : {ils ont pris en dehors d'*Allâh* des divinités afin qu'elles soient pour eux une force}, en cherchant en elles puissance et secours. Et Il a dit : {et si seulement les avaient secourus ceux qu'ils prirent en dehors d'*Allâh* comme divinités et comme rapprocheurs}. Et Il a dit : {et leurs divinités qu'ils invoquaient en dehors d'*Allâh*} pour être secourus {ne leur servirent à rien lorsque vint le décret de ton Seigneur et ils} c'est-à-dire ceux qu'ils adoraient {ne leur apportèrent que perdition}. *Allâh* a dit : {raconte-leur l'histoire d'*Ibrâhîm*. Lorsqu'il dit à son père et à son peuple : qu'adorez-vous ? Ils dirent : nous adorons des statues. Nous ne cessons de rester devant elles. Il dit : entendent-elles lorsque vous invoquez, et vous causent-elles du bien ou du mal ?} Et ils ne lui répondirent pas : elles ne nous servent à rien et notre adoration est pure futilité, mais {ils dirent : mais nous avons trouvé nos pères faisant ainsi} c'est-à-dire : il s'est donc avéré pour eux qu'adorer les idoles était profitable, et c'est pour cela qu'ils les adorèrent de bon droit, et nous les suivons dans leur bonne voie. *Allâh* a dit : {et on fit apparaître l'enfer pour les égarés et on leur dit : où sont ceux que vous adoriez en dehors d'*Allâh*, vous secourent-ils ?} comme vous le prétendiez précédemment {ou se secourent-ils eux-mêmes ?} Puis Il a dit : {par *Allâh* certes nous étions dans un égarement manifeste lorsque l'on faisait de vous des égaux du Seigneur des mondes} dans l'adoration et vous ne pouvez maintenant ni nous aider ni vous aider vous-mêmes<sup>31</sup>. {Ceux qui nous ont égarés ne sont que les criminels} comme nos ancêtres qui prétendaient que les idoles étaient des divinités qui causent bien et mal.

*Mousslim* a rapporté de *Zayd ibn Khâlid Aljahniyy*, qu'*Allâh* soit satisfait de lui : « l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, pria avec nous la prière du *soubh* tandis que nous étions à *Alhoudaybiyah* après que la pluie soit tombée du ciel pendant la nuit. Lorsqu'il eut fini, il se tourna vers les gens et dit : savez-vous ce qu'a dit votre Seigneur ? Ils dirent : *Allâh* et Son Prophète sont plus savants. Il dit : *Allâh* a dit : certains de Mes esclaves se sont réveillés croyants en Moi et d'autres mécréants. Quant à celui qui a dit : nous avons reçu la pluie par la grâce et la miséricorde d'*Allâh*, celui-ci a cru en Moi et mécré aux astres. Quant à celui qui a dit : nous avons reçu la pluie grâce à l'apparition de tel ou tel astre, celui-là a mécré en Moi et cru aux astres ». Il fait partie de ce qu'a dit *Annawawiyy* dans son commentaire : « c'est de la mécréance en *Allâh*, pureté à Lui et élevé soit-Il, qui retire l'origine de la foi et fait sortir de la religion de l'*Islâm*. Ils dirent : cela concerne celui qui croit que les astres

<sup>31</sup> Voir le *tafsîr* d'*Alqourtoubiyy*.

sont des acteurs qui régissent et provoquent la pluie, comme le prétendaient certains lors de la *jâhiliyyah*. Il n'y a pas de doute sur la mécréance de celui qui croit cela. C'est l'avis de la majorité des savants dont fait partie *Achchâfi 'iyy* et c'est le sens apparent du *hadîth* ». Et *Allâh*, pureté à Lui, a dit : {est-ce Celui qui a créé les cieus et la terre et qui a descendu pour vous du ciel une eau par laquelle Nous avons fait pousser des jardins luxuriants alors que vous ne pouviez pas faire pousser leurs arbres ? Y a-t-il une divinité avec *Allâh* ? Mais c'est plutôt un peuple qui attribue des égaux} c'est-à-dire qui associent à *Allâh* en cela autre que Lui comme les astres. Il a dit, pureté à Lui : {et *Ibrâhîm*, lorsqu'il dit à son peuple : adorez *Allâh* et prémunissez-vous de Lui, cela est meilleur pour vous} c'est-à-dire meilleur que votre présente situation qui est d'adorer les idoles {si vous saviez. Certes ceux que vous adorez en dehors d'*Allâh* ne sont que des idoles et vous innovez un péché} en prétendant mensongèrement que les idoles sont des associés d'*Allâh*. {Certes ceux que vous adorez en dehors d'*Allâh* ne peuvent vous pourvoir} c'est-à-dire qu'ils n'ont pas la capacité de vous pourvoir contrairement à ce que vous croyez à leur sujet. {Cherchez donc auprès d'*Allâh* la subsistance} et non auprès des idoles {et adorez-Le} Lui seul, car les idoles n'ont pas de pouvoir, n'étant pas des divinités, elles ne méritent donc pas l'adoration, {et remerciez-Le, et c'est vers Lui que vous retournerez}. Et Il a dit : {ont-ils pris en dehors d'*Allâh* des divinités de la terre} étant en pierre ou en or {qui ressuscitent} les morts ? {Mais plutôt nous leur avons apporté la vérité et ils sont des menteurs} pour l'avoir rejetée, et la vérité est que certes {*Allâh* n'a pas pris d'enfant et il n'y a pas avec Lui de divinité, sinon} s'il y avait avec Lui une divinité {chaque divinité serait partie avec ce qu'elle a créé, et les unes auraient dominé les autres} en cherchant à les vaincre comme le font les rois dans ce bas monde. {Purifié soit *Allâh* au-dessus de ce qu'ils décrivent, le Connaisseur du caché et de l'apparent, élevé soit-Il au-dessus de ce qu'ils associent} en disant qu'il y a avec *Allâh* des divinités qui créent et qui gèrent. Et Il a dit : {s'il y avait en eux} c'est-à-dire dans les cieus et la terre {des divinités en dehors d'*Allâh*, ils se seraient pervertis} en perdant l'ordre les régissant. {*Allâh*, Seigneur du trône, est préservé de ce qu'ils décrivent} comme l'existence d'un associé.

De même, les associateurs adorèrent en dehors d'*Allâh* des divinités et des seigneurs ayant une puissance figurée que personne ne conteste. *Allâh* a dit {Je l'ai trouvé ainsi que son peuple se prosternant pour le soleil en dehors d'*Allâh* ; le diable leur a embellit leurs œuvres, leur a barré la route, et ils ne peuvent se guider}, {n'avais-je pas pris un pacte avec vous ô fils d'*Âdam* de ne pas adorer le diable, il est certes pour vous un ennemi évident}, {et Il ne vous ordonne pas de prendre les anges et les prophètes comme seigneurs, vous ordonne-Il la mécréance après que vous soyez musulmans}, {ils Lui attribuèrent des fils et des filles sans science}, {et lorsqu'*Allâh* dit°: ô jésus fils de Marie, est-ce toi qui a dit aux gens°: prenez-moi ainsi que ma mère comme divinités en dehors d'*Allâh*}, {les juifs ont dit°: '*Ouzayr* est le fils d'*Allâh*, et les chrétiens ont dit°: le messie est le fils d'*Allâh*. Cela est ce que disent leurs bouches, ils disent la même chose que ceux qui ont mécréé avant eux, qu'*Allâh* les détruise comme ils s'en laissent compter. Ils prirent leurs savants et leurs ascètes comme seigneurs en dehors d'*Allâh*, ainsi que le messie fils de Marie alors qu'on ne leur ordonnait que d'adorer un seul Dieu, pas de divinité sauf Lui, pureté à Lui, innocent de ce qu'ils lui associent}. '*Adiyy ibn Hâtim*, qu'*Allâh* soit satisfait de lui, vint à l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, alors qu'il récitait {Ils prirent leurs savants et leurs ascètes comme seigneurs en dehors d'*Allâh*}, et dit°: « ils ne les ont pas adoré. Il dit alors, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui : certes si, car ils leur ont

interdit le licite et permis l'illicite et les ont suivi en cela, et ceci est leur adoration à leur égard<sup>32</sup> ».

{Le jour où Il les rassemblera tous puis qu'Il dira aux anges°: est-ce ceux-là qui vous adoraient, ils diront°: pureté à Toi, c'est vers Toi que nous nous tournons en dehors d'eux, mais ils adoraient plutôt les génies, la plupart croient en eux. Aujourd'hui vous ne pouvez les uns pour les autres ni bien ni mal, et nous disons aux injustes°: gouttez le supplice du feu que vous traitiez de mensonge}. *Alqour'toubiyy* a dit°: « nous trouvons dans les exégèses qu'un clan appelé *banôu Moulayh* faisant parti de *Khouzâ'ah* adorait les génies et prétendait que les génies se montraient à eux et qu'ils étaient des anges et qu'ils étaient les filles d'*Allâh* comme Il l'a dit : {ils prétendirent qu'il y avait entre Lui et les génies des liens de filiation}, ainsi que la parole du Très-Haut : {aujourd'hui vous ne pouvez les uns pour les autres ni bien} c'est-à-dire intercession et secours {ni mal} c'est-à-dire châtement et destruction<sup>33</sup> ». *Ibn Kathîr* a dit°: « {mais ils adoraient plutôt les génies} c'est-à-dire les diables car c'est eux qui leur ont embellit l'adoration des idoles et qui les ont égaré {la plupart croient en eux} de même qu'Il a dit, béni et élevé soit-Il : {ils n'invoquent en dehors de Lui que des femelles et ils n'invoquent qu'un diable rebelle qu'*Allâh* a maudit}. *Allâh* puissant et majestueux a dit : {aujourd'hui vous ne pouvez les uns pour les autres ni bien ni mal} c'est-à-dire que ce que vous espérez aujourd'hui comme profit de la part des égaux et des idoles n'advient pas, alors que vous réserviez leur adoration pour les moments difficiles et les peines de ce jour, alors qu'ils ne peuvent pour vous ni bien ni mal. » Et *Allâh* a dit : {*Soulaymân* n'a pas mécré, ce sont les diables qui ont mécré, ils enseignent aux gens la sorcellerie ainsi que ce révélé aux deux anges à *Bâbil Harôut* et *Mârôut*, et ils n'enseignent à personne avant de lui dire : nous sommes certes une tentation, ne mécrois pas}. *Addardîr* a dit lors de la parole de *Khalîl* de la sorcellerie, dans le chapitre de l'apostasie°: « *ibn Al'arabiyy* l'a défini comme étant des paroles magnifiant autre qu'*Allâh* et lui attribuant de caractériser les choses et de les créer, il a évoqué cela dans *Attawdîh*. En fonction de cela, la parole de l'*imâm*, qu'*Allâh* soit satisfait de lui, disant qu'apprendre la sorcellerie et l'enseigner est de la mécréance même s'il n'en fait pas usage, est on ne peut plus clair car magnifier les diables et leur attribuer de créer, aucun être raisonnable croyant en *Allâh* ne peut dire que ce n'est pas de la mécréance. » *Allâh* a dit en parlant de *'Îsâ*, sur lui la paix {et je guéris l'aveugle de naissance, le lépreux et je ressuscite les morts par la permission d'*Allâh*}, et ce sont des profits notoires pour les esclaves d'*Allâh* ; et Il a dit : {le messie fils de Marie n'est qu'un envoyé devancé par d'autres envoyés et sa mère était véridique, et ils mangeaient de la nourriture. Regarde comment Nous leur expliquons les versets et regarde comme il s'en laisse compter. Dis°: vous assujettissez-vous en dehors d'*Allâh* à ce qui ne peut pour vous ni mal ni profit, et *Allâh* est l'Oyant et le Savant}. Celui qui croit que *'Îsâ*, sur lui la paix, ou une autre créature avantage véritablement par sa puissance est un associateur qui mécroit en *Allâh*, et celui qui croit qu'autre qu'*Allâh* avantage de façon figurée et que celui qui nuit et qui avantage véritablement est *Allâh* seul sans associé en cela, est croyant et monothéiste.

Le *chirk* est donc de croire qu'autre qu'*Allâh* à une puissance indépendante et une activité autonome, que l'associateur prétende que cet autre est de la même nature qu'*Allâh*, comme Jésus, *'Ouzayr* et les anges, ou qu'il fasse partie de Sa création

---

<sup>32</sup> Rapporté par l'*imâm Ahmad* et *Attirmidhiyy* et *ibn Jarîr* avec plusieurs chaînes revenant à *'Adiyy ibn Hâtim*, qu'*Allâh* soit satisfait de lui. Regarde le *tafsîr* d'*ibn Kathîr*. Chapitre *Attawbah* Verset 31.

<sup>33</sup> Chapitre *Saba'* verset 41.

comme le soleil, les savants, les ascètes, le diable, les génies, Marie, que l'associateur l'ait adoré ou qu'il ne l'ait pas adoré.

*Allâh* a dit : {ont-ils donné à *Allâh* des associés qui ont créé comme Il crée, jusqu'à ce que la création leur ait semblé identique ? Dis : *Allâh* crée toute chose et c'est Lui l'Unique et le Dominateur}. *Alqour'toubiyy* a dit : « ce verset est une réponse aux associateurs et aux *qadariyyah* qui prétendent créer comme *Allâh* crée ». Quant aux *wahhâbiyyah*, ils font partie des associateurs évoqués dans le verset précédent, puisqu'ils croient que l'esclave suscite ses propres actes grâce à une puissance qu'*Allâh* a mise en lui. *Ibn Taymiyyah* a dit mensongèrement : « la majorité des gens de la *sounnah* qui confirment le *qadar* parmi tous les différents groupes disent que l'esclave est véritablement l'agent de son acte, et qu'il a une puissance réelle et un pouvoir véritable, et ils ne contestent pas l'efficacité des causes naturelles [...] Ils ne disent pas que les forces naturelles présentes dans les créatures n'ont pas d'efficacité, mais ils confirment au contraire qu'elles en ont une, aussi bien dans la formulation qu'ils emploient que dans le sens qu'ils y donnent<sup>34</sup> », et il a dit : « si l'on dit : comment se peut-il qu'*Allâh* les suscite – c'est-à-dire les actes – et que l'esclave les suscite également ? On dira qu'*Allâh* les suscite dans le sens qu'Il les crée séparés de Lui et résidant dans l'esclave, et qu'il fait de l'esclave leur agent par sa puissance et sa volonté qu'*Allâh* a créées ; et le fait que l'esclave les suscite réside dans le fait que l'acte réside en lui et émane de lui grâce à la puissance et la volonté qu'*Allâh* a créées en lui<sup>35</sup> ». Cet avis est le même que celui des *mou'tazilah*, puisqu'ils disent que l'esclave suscite ses propres actes grâce à une puissance qu'*Allâh* a créé en lui, et cela constitue du *chirk* vis-à-vis d'*Allâh* comme nous l'avons expliqué lors de l'attribut de la *wahdâniyyah*. La différence entre le *mou'taziliyy* et autre que lui parmi les associateurs est qu'il ne prétend pas que la créature est une divinité, ni ne prétend l'adorer, même si dans les faits il se la représente comme une divinité car il lui attribue un pouvoir ; son *chirk* est donc latent sans être revendiqué.

*Alghazâliyy* a dit : « toute chose *hâdith* dans le monde est Son acte, pureté à Lui, Sa création et Son œuvre, nul créateur (*khâliq*) autre que Lui et nul existentiateur (*mouh'dith*) si ce n'est Lui. Il a créé les créatures, les a façonnées et Il a créé leurs puissances et leurs mouvements. Tous les actes des esclaves sont donc créés par Lui et en relation avec Sa puissance<sup>36</sup> ». L'*imâm abôu Mansôur albaghdâdiyy* a dit ce qui suit : « celui qui prétend que les esclaves créent ce qu'ils acquièrent est alors *qadariyy* et donne à Son seigneur des associés en prétendant que les esclaves créent comme *Allâh* des accidents qui sont les mouvements, l'immobilité, les sciences, les volontés, les paroles et les voix. *Allâh* a dit, puissant et majestueux, en blâmant les gens qui disent cela : {ont-ils donné à *Allâh* des associés qui ont créé comme Sa création de sorte que la création s'est donc confondue pour eux ? Dis : *Allâh* crée toute chose et c'est l'Unique et le Dominateur}<sup>37</sup> ». *Ibn Taymiyyah* a rejeté la doctrine monothéiste des *imâm* des gens de la *sounnah* et de la *jamâ'ah*, et il a dit à propos des *ach'ariyyah* : « ils ont affirmé le *kasb* qui n'a aucune réalité et qui est incompréhensible<sup>38</sup> », regarde comment il n'a pas compris ce qu'est le *tawhîd* qu'il a alors rejeté, et comment il lui a préféré le *chirk* des *mou'tazilah*. *Allâh* a dit la vérité dans Sa parole : {la plupart d'entre eux ne croient en *Allâh* qu'en étant associateurs},

<sup>34</sup> *Minhâj assounnah* tome 3 page 12.

<sup>35</sup> *Minhâj assounnah* tome 3 page 239.

<sup>36</sup> *Al'ihyâ'*, tome 1 page 146.

<sup>37</sup> *Alfarq bayna l'firâq* page 339.

<sup>38</sup> *Majmôu' arrasâ'il alkoubrâ* tome 1 page 368.



et Il a dit : {et cela parce que lorsqu'Allâh est invoqué seul, vous mécroyez, et lorsqu'on Lui donne des associés vous croyez}.

Les *wahhâbiyyah* disent que demander à un mort constitue du *chirk* vis-à-vis d'Allâh, contrairement au fait de demander à un vivant. Celui qui est impartial dira : soit il n'est pas possible au mort de répondre, et lui demander est donc inutile et sans intérêt, ou bien il a la possibilité de répondre, et lui demander est donc profitable, et cela est la vérité établie par les preuves. Celui qui dira que c'est de l'association à Allâh ne se reposera en cela sur aucune preuve textuelle ou rationnelle. Quant à l'unificateur, il sait que Celui qui répond réellement est Allâh, pureté à Lui, sans associé à Lui en cela, et que l'on attribue la réponse à l'esclave que d'une façon figurée et dans le sens du *kasb*. Quant au fait de croire que celui qui répond réellement est l'esclave par sa puissance, celui qui croira cela aura alors associé à Allâh, que cet associé soit vivant ou mort. Il a dit, pureté à Lui : {qui donc répond au nécessiteux et qui dissipe de lui le mal ?} Je dis à ceux qui croient que les vivants peuvent causer du bien en dehors d'Allâh : {est-ce autre qu'Allâh que vous m'ordonnez d'adorer, ô vous les ignorants ? On t'a certes révélé ainsi qu'à ceux avant toi que si tu associes, tes œuvres seront annulées et tu feras partie des perdants. Mais adore plutôt Allâh et sois du nombre de ceux qui remercient}.

Les divagations des *wahhâbiyyah* qui avancent aveuglement dans leur démesure se sont dévoilées ; il y a chez eux un *chirk* qu'ils ne considèrent pas comme *chirk*, et qu'ils pratiquent, qui est de déifier le vivant puisqu'il crée ses propres actes selon eux, il mérite donc d'être adoré, et l'invoquent donc cherchant secours dans sa puissance. Et il y a chez eux un *chirk* qu'ils considèrent comme *chirk* et qui est l'adoration du mort ; celui-ci ne mérite pas l'adoration car il n'a pas de puissance telle une idole ; c'est pour cela qu'ils ne traitent pas de mécréant l'adorateur du vivant et traitent de mécréant l'adorateur du mort, et à cause de leur absence de clairvoyance et de leur non part dans l'unicité, ils traitent de mécréant celui qui utilise les causes qu'Allâh a institué dans Sa création et n'adore ni vivant ni mort, mais adore Allâh seul, sans associé. Ils redoublent d'efforts pour égarer les esclaves du Seigneur, les sortir de l'unicité qui est leur nature primordiale en leur disant que demander à un vivant n'est pas du *chirk*, que demander à un mort est du *chirk*, et que d'adorer Allâh seul est du *chirk*. Ils inversèrent à leur intention ce qu'est l'unicité en leur présentant ce qui n'est pas du *chirk* comme du *chirk*, et l'unicité comme *chirk*. Mais chacun est prédisposé à ce pour quoi Allâh l'a créée, {ceux qui ont cru combattent dans la voie d'Allâh, ceux qui ont mécru combattent dans la voie des transgresseurs, combattez donc les alliés du diable, certes la ruse du diable est faible}.

L'exemple de l'attribution de l'acte à Allâh de façon véritable et à l'esclave de façon figurée est le nourrissage ; Celui qui nourrit réellement est Allâh, pureté à Lui, sans qu'Il ait en cela d'associé. Il a dit : {certes Allâh est le Pourvoyeur, le Détenteur de la puissance, le Fort}. Et *Ibrâhîm*, sur lui la paix, a dit en évoquant les bienfaits de son Seigneur : {c'est Lui qui me nourrit et qui m'abreuve}. On attribuera le nourrissage à l'esclave de façon figurée et dans le sens du *kasb*. Allâh a dit : {ils nourrissent le pauvre avec des victuailles malgré l'attachement qu'ils ont pour elles}. Celui qui demande à un esclave de le nourrir est-il donc associateur ? Non s'il croit que celui qui le nourrit réellement est Allâh, pureté à Lui, oui s'il croit que celui qui le nourrit réellement est l'esclave comme le disent les *mou'tazilah* et leurs semblables. Si un *wahhâbiyyah* dit qu'il est croyant s'il demande à un vivant et mécréant s'il demande à un mort, c'est la preuve que sa notion du *tawhîd* est frelatée car il croit que le vivant a une puissance indépendante de la puissance d'Allâh, et qu'associer un vivant à Allâh n'est pas de l'associationnisme, alors qu'associer un mort à Allâh en

est, parce que le mort ne peut rien faire et qu'il est donc comme une idole, et que lui demander est alors du *chirk*. Mais la vérité est que celui qui croit qu'une chose peut avoir une puissance en dehors de celle d'*Allâh* est un associateur, car on n'attribue les actes aux esclaves que par le *kasb* et de façon figurée. {*Allâh* vous a créés ainsi que ce que vous faites}, {et lorsqu'on leur dit : dépensez de ce que vous a octroyé *Allâh*, ceux qui ont mécré disent à ceux qui ont cru : allons-nous nourrir celui qu'*Allâh* aurait nourri Lui-même s'Il l'avait voulu ? Vous êtes certes dans un égarement évident}. Ces associateurs croient donc qu'ils ont une puissance qui agit en dehors d'*Allâh* et que ce n'est pas *Allâh* qui nourrit lorsqu'ils nourrissent, et ils attribuent aux unificateurs l'égarement à cause de leur absence de clairvoyance.

Parmi les exemples d'attribution de l'acte à *Allâh* de façon véritable et à l'esclave de façon figurée, il y a également la recherche d'aide et de secours. Le Très-Haut a dit : {à Toi seul nous nous assujettissons et à Toi seul nous demandons secours}. L'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, a dit : « quand tu demandes, demande à *Allâh*<sup>39</sup> ». Le Très-Haut a dit : {demandez aux gens du rappel si vous ne savez pas}. Et Il a dit : {vous ordonne-t-Il} c'est-à-dire votre Seigneur {la mécréance après que vous soyez devenus musulmans ?}. Quelle est donc la réponse : oui ou non ? Et Il a dit, en évoquant l'histoire de *Môusâ*, sur lui la paix : {celui qui faisait partie de son groupe l'appela au secours} c'est-à-dire le Juif {contre celui qui faisait partie de ses ennemis} c'est-à-dire l'Égyptien. Le Juif a-t-il mécré pour avoir demandé secours à autre qu'*Allâh* ? L'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, a dit : « *Allâh* a des anges sur terre autres que les consignateurs qui notent les feuilles qui tombent des arbres. Lorsque l'un d'entre vous perd son chemin dans une terre déserte, qu'il appelle : secourez-moi, ô esclaves d'*Allâh*<sup>40</sup> ». *Alhaythamiyy* a dit : « ses narrateurs sont *thiqah*<sup>41</sup> ». *Achchawkâniyy* a dit : « on trouve dans ce *hadîth* la permission de demander aide auprès des esclaves d'*Allâh* que l'homme ne voit pas, comme les anges et les génies vertueux, et il n'y a pas de mal en cela, de même qu'il est permis à l'homme de demander aide auprès des fils d'*Âdam*, lorsque sa monture tombe ou se sauve<sup>42</sup> ». L'*imâm Annawawiyy* a dit : « nous rapportons du livre d'*ibn Assounniyy* d'après '*abd Allâh ibn Mas'oud* que l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, a dit : lorsque la monture de l'un d'entre vous s'échappe en terre déserte, qu'il appelle : ô serviteurs d'*Allâh*, retenez-la ! Ô serviteurs d'*Allâh*, retenez-la ! Car *Allâh*, puissant et majestueux, a sur terre quelqu'un qui l'encerclera et la retiendra. Je dis : un de mes plus grands maîtres en science m'a raconté que sa monture s'était sauvée, et je pense qu'il s'agissait d'une mule, et il connaissait ce *hadîth* et le récita donc. *Allâh* la retint alors pour eux sur le champ. J'étais une fois avec un groupe de gens lorsqu'une bête s'échappa, et ils ne parvinrent pas à la récupérer. Je le récitai alors et elle s'arrêta aussitôt, sans autre cause que cette parole<sup>43</sup> ». L'Envoyé d'*Allâh* bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, *Achchawkâniyy* et *Annawawiyy* ont-ils mécré, ou ont-ils simplement eu recours aux causes qu'*Allâh* a instituées dans sa création, ce qui implique qu'il y a donc dans le *tawhîd* des *wahhâbiyyah* des failles et des lacunes ? *Mouhammad Aljardâniyy Addamyâtiyy* a dit : « celui qui cherchera aide auprès d'un autre qu'*Allâh* et s'en remettra à cet autre sera abandonné. Les stations de l'honneur et de la noblesse demeureront hors de son atteinte et il sera éloigné de son Seigneur. Bien sûr, s'il constate que l'aide qu'il reçoit

<sup>39</sup> Rapporté d'*ibn 'Abbâs* par *Attirmidhiyy*.

<sup>40</sup> Rapporté d'*ibn 'Abbâs* par *Albazzâr*.

<sup>41</sup> *Majma' azzawâ'id* tome 10 page 188.

<sup>42</sup> *Touhfatou dhdhâkirîn* tome 1 page 234.

<sup>43</sup> *Kitâb al'adhkâr* page 200.

de la création émane d'*Allâh* et qu'il recherche l'aide d'*Allâh* intérieurement et celle de la création extérieurement, cela ne lui portera pas préjudice, car *Allâh* le Très-Haut a institué comme habitude d'aider son esclave avec ou sans intermédiaire. Montre donc, ô mon frère, à *Allâh* ta soumission et ta dépendance car c'est Celui qui te secourt et te sauve des situations difficiles, même si toute la création se coalise pour te nuire<sup>44</sup> ».

*Allâh* a dit en expliquant qu'Il est le seul à répondre : {dis°: ô vous les gens, si vous doutez au sujet de ma religion, et bien je ne m'assujettis pas à qui vous vous assujettissez en dehors d'*Allâh*} comme les idoles et les gens à qui vous demandez aide {mais je m'assujettis à *Allâh* Celui qui vous fait mourir} car c'est Lui qui agit réellement ; vous êtes donc tels des outils sans vie saisis par la puissance de Vivant qui ne meurt ni ne s'estompe {et on m'a ordonné de faire partie des croyants, et tourne ton visage vers la religion avec enclin pour elle, et ne sois pas du nombre des associateurs. N'invoque pas en dehors d'*Allâh* ce qui ne te profite pas ni ne te nuit ; et si tu fais cela, tu fais certes alors partie des injustes}. *Arrâziyy* a dit dans le commentaire de {ne sois pas du nombre des associateurs}°: « sache qu'il est impossible que cela soit une interdiction d'adorer les idoles car cela a été évoqué lors de la parole du Très-Haut dans ce verset {je ne m'assujettis pas à qui vous vous assujettissez en dehors d'*Allâh*} ; l'intérêt de cette parole doit être nouveau, c'est-à-dire que celui qui connaît son maître, s'il se tourne après cela vers autre que lui, ceci sera alors de l'association. C'est cela qu'appelle les gens du cœur l'association cachée. [...] {Et n'invoque pas en dehors d'*Allâh* ce qui ne te profite pas, ni ne te nuit}°: ce qui est possible (*moumkin*) en soi est inexistant si on considère son essence, et existant par l'existention du Vrai. S'il en est ainsi, ce qui est autre que le Vrai n'a pas d'existence si ce n'est par l'existention du Vrai. Si l'on prend en compte ceci, nul ne porte profit si ce n'est le Vrai, et nul ne porte préjudice si ce n'est le Vrai. Toute chose périe sauf Sa face. S'il en est ainsi, pas de jugement si ce n'est celui d'*Allâh* et pas de requête dans les deux mondes si ce n'est envers d'*Allâh*. Puis Il a dit à la fin du verset°: {et si tu fais cela, tu fais certes alors partie des injustes}, c'est-à-dire que si tu t'affaires à demander ce qui profite ou ce qui nuit à autre qu'*Allâh*, tu fais partie des injustes car l'injustice consiste à mettre une chose à une place autre que la sienne. Si autre qu'*Allâh* ne peut agir, attribuer l'action à autre que le Vrai revient à mettre une chose à une place autre que la sienne, et c'est alors de l'injustice<sup>45</sup>. » On invoque donc autre qu'*Allâh* que de façon figurée et on attribue la réponse, le bien et le mal à autre qu'*Allâh*, que de façon figurée ; personne n'est invoquée ni ne répond véritablement si ce n'est *Allâh*, sans associé.

*Allâh* a dit en confirmant cela : {l'exemple de ceux qui ont pris des alliés en dehors d'*Allâh* est celui de l'araignée qui s'est fait une maison, et certes la plus faible des maisons est celle de l'araignée, s'ils savaient}. *Allâh* a donc comparé la faiblesse de ceux que l'on adore en dehors de Lui à la faiblesse de la maison de l'araignée, car les fils de sa toile transparents et fragiles ne protègent de rien, elle est donc plus proche de l'inexistence que de l'existence. Il en est de même pour les égaux, il n'y a aucun intérêt à se réfugier auprès d'eux car ils n'ont pas la capacité de protéger ; si les associateurs le savaient, ils ne penseraient pas qu'ils puissent être profitables et se seraient alors tournés dans leur invocations vers *Allâh* seulement, l'Unique et le Contraignant, car ils sauraient que ne nul ne répond si ce n'est Lui, même si la réponse est attribuée à Sa création dans certains cas de façon figurée car *Allâh* y crée des

<sup>44</sup> *Aljawâhir allou 'lou 'iyyah*, commentaire du *hadîth* 19, page 149.

<sup>45</sup> *Mafâtih alghayb*, chapitre *Yûnous*, verset 106.

actes. Puis il a dit : {Certes *Allâh* sait qu'ils n'invoquent rien (*mâ yad'ôun*) en dehors de Lui, et Il est le Puissant et le Sage}. Il fait partie des sens plausibles en faisant de *mâ* une particule de négation : *Allâh* sait qu'ils imaginent l'existence d'associés qu'ils invoquent de même qu'on imagine que la toile de l'araignée mérite d'être appelée maison ; mais en vérité, ils n'invoquent rien en dehors d'*Allâh* car il n'y a pas d'autres divinités que Lui et nul ne répond réellement si ce n'est Lui. On ne peut donc s'assujettir à autre que Lui, puisque il n'existe nul autre divinité que Lui, c'est donc véritablement Celui à qui l'on s'assujettit toujours, même si les associateurs réprouvent cela et s'imaginent l'existence d'égaux. On n'invoque les créatures en dehors d'*Allâh* uniquement parce que l'on croit qu'elles ont une puissance agissante indépendante, mais en vérité il n'y a ni puissance ni action que celles d'*Allâh* seul, et l'essence d'*Allâh* l'élevée accompagne toute chose {ou que vous vous tourniez, la est la face d'*Allâh*}, {toute chose s'anéantit, sauf Sa face} L'associateur invoque la créature et se tourne vers elle en croyant qu'elle possède la puissance en question, et vise par son invocation le possesseur de la puissance duquel il espère l'assouvissement de ses besoins, mais il ignore que son possesseur est *Allâh* et qu'il n'invoque donc personne d'autre que Lui l'Unique et le Contraignant, et qu'il ne se tourne que vers Lui. {Telles sont les métaphores que nous exposons aux gens, et seuls les savants les comprennent}, ceux à qui on a dévoilé la vérité de l'unicité et ont exécuté l'ordre d'*Allâh* {Sache qu'il n'y a pas de divinité sauf *Allâh*}. *Allâh* a dit à Son Prophète : {dis : montrez moi ceux que vous prétendez Lui associer. Certes non°! Mais c'est plutôt *Allâh*, le Puissant et le Sage}, vous l'attribuez à autre que Lui une efficence car les apparences vous trompent. Mais c'est *Allâh* seul qui agit et on attribue l'acte à autre que Lui que d'une façon figurée. {Certes, à *Allâh* sont ceux dans les cieux et ceux sur terre. Ceux qui invoquent d'autres qu'*Allâh* ne suivent pas d'associés, mais ils ne suivent que leur présomption, et ne font que conjecturer}, ils ne suivent donc pas d'associés car ils n'existent que dans leur croyance erronée. *Arrâziyy* a dit° : « c'est-à-dire qu'ils ne suivent pas des associés à *Allâh* le Très-Haut mais ils ne font que suivre quelque chose qu'ils ont pensé être un associé à *Allâh* le Très-Haut. L'exemple de cela est que si l'un de nous pense que *Zayd* est dans la maison alors qu'il n'y est pas, il parlera donc à une personne qu'il pense être *Zayd*. On ne dit donc pas qu'il a parlé à *Zayd* mais plutôt qu'il a parlé à celui qui pensait être *Zayd*<sup>46</sup>. Et *Allâh* a dit {qui est plus injuste que celui qui forge au sujet d'*Allâh* le mensonge} comme de lui attribuer un associé {ou qui traite Ses signes de mensonge} ceux qui confirment Son unicité {certes les injustes ne réussissent pas}.

*Allâh* dit : {ceux que vous invoquez en dehors d'*Allâh* sont des esclaves comme vous}, c'est-à-dire qu'ils sont créés et qu'ils ne peuvent vous causer du bien, et ne mérite l'invocation que Celui qui y répond, qui est *Allâh* seul. Et celui qui croit qu'un autre que Lui répond est un associateur s'assujettissant à l'autre en question, qu'il soit vivant ou mort. Puis Il a dit : {invoquez-les et qu'ils vous répondent si vous êtes véridiques} dans le fait que les idoles sont des divinités. Il poursuit en expliquant que croire à la déité des idoles est encore moins rationnel que de croire à la déité du vivant, car *Allâh* crée en ce dernier des actes qui peuvent faire penser aux *mou'tazilah* et à leurs semblables qu'il est une divinité par le fait qu'il crée ses propres actes, contrairement à la statue car c'est une créature qui n'agit pas. Il convenait donc selon leur revendication que la créature vivante soit plus à même d'être associée à *Allâh* que les statues. Il a donc dit : {ont-ils des pieds avec lesquels ils marchent ? Ont-ils des mains avec lesquelles ils saisissent ? Ont-ils des yeux avec lesquels ils voient ? Ont-ils

<sup>46</sup> *Mafâtih alghayb*, chapitre *Yûnûs*, verset 66.

des oreilles avec lesquelles ils entendent ?} C'est-à-dire comment, si vous tenez absolument à associer, allez-vous associer ce qui vous est inférieur en degré, et pourquoi ne vous êtes-vous pas associés vous-mêmes, étant plus à même de l'être que les idoles ? *Alqourtoubiyy* a dit en commentant la parole d'*Allâh* {ceux que vous invoquez en dehors d'*Allâh* ne créent rien, et ils sont eux créés ; des morts, non vivants} : « elles sont donc mortes, c'est-à-dire les idoles ; elles n'ont pas d'âme, n'entendent pas, ne voient pas, car ce sont des êtres inertes. Comment les adorez-vous donc, alors que vous êtes supérieurs à elles par la vie ?<sup>47</sup> » Quant à l'unificateur, il ne croit ni à la déité du vivant, ni à celle du mort, ni à celle de l'idole, mais il demande au vivant, et il se peut également qu'il demande au mort, en utilisant les causes qu'*Allâh* a instituées dans Sa création, tout en croyant que Celui qui répond réellement est *Allâh* seul. *Allâh* a dit : {associez-vous ceux qui ne créent rien et qui sont eux-mêmes créés} c'est-à-dire les statues. Et *Ibrâhîm*, sur lui la paix, a dit : {*Allâh* vous a créés ainsi que ce que vous faites}, {et certes je ne fais pas partie des associateurs}. Celui qui croira que l'esclave crée ses propres actes l'aura donc déifié et c'est ce qu'implique l'avis des *mou'tazilah*.

### L'invalidité de diviser le *tawhîd* en trois

Les textes précédents invalident ce qu'a innové *ibn Taymiyyah* en contredisant les pieux prédécesseurs par sa division du *tawhîd* en *tawhîd oulôuhiyyah* (déité), *tawhîd roubôubiyyah* (seigneurie) et *tawhîd al'asmâ' wa ssifât* (des noms et des attributs). Il a dit que les messagers n'ont été envoyés qu'avec le *tawhîd oulôuhiyyah*, qui est le fait qu'*Allâh* soit le seul méritant adoration. Quant au *tawhîd roubôubiyyah*, qui est de croire qu'*Allâh* est le Seigneur des mondes qui gère leurs affaires, il a dit qu'aucun associateur ni musulman ne conteste cela, en prenant comme preuve la parole du Très-Haut : {et si tu leur demandes qui a créé les cieux et la terre, certes ils diront *Allâh*}. Ce qu'a dit *ibn Taymiyyah* résulte d'un manque de réflexion sur les textes et de sa négligence de leur plus grand nombre, car le fait que les associateurs reconnaissent qu'*Allâh* est le Créateur des cieux et de la terre ne les empêche pas de croire à l'existence d'autres divinités ayant une puissance et une efficacité en dehors d'*Allâh*, même si *Allâh* est la plus grande divinité qui a créé les cieux et la terre et qui possède toute chose, car le Très-Haut a dit : {ceux qui ont pris en dehors de Lui des protecteurs : nous ne les adorons que pour qu'ils nous rapprochent d'*Allâh*} ; la *talbiyah* de *Quraych* lors du *hajj* était dans la *jâhiliyyah* : « je te réponds *Allâhoumma* je te réponds, je te réponds il n'y a pas d'associés si ce n'est un associé à Toi que Tu possèdes ainsi que ce qu'il détient » : le fait que les divinités soient la propriété d'*Allâh* Seigneur des mondes n'empêche donc pas qu'elles soient Ses associés. Chaque divinité mérite donc selon eux l'adoration, même si *Allâh*, qui est la plus grande divinité, la mérite plus que les autres, et c'est pour cela qu'ils cherchent à s'en rapprocher par le biais de l'adoration des petites divinités, car parmi les causes justifiant l'adoration des statues par les mécréants, il y a le fait qu'elles rapprochent d'*Allâh*, tout comme il fait partie de ces causes leur croyance qu'elles peuvent causer du bien ou secourir dans les moments difficiles. *Ibn Kathîr* a dit en expliquant la parole d'*Allâh* {il y a parmi les gens celui qui adorent *Allâh* sans conviction ; s'il est touché par le bien, il s'apaise, et si les troubles l'atteignent, le voilà qui revient sur sa position, perdant ainsi cette vie là et l'au-delà ; c'est cela la perte flagrante. Il invoque en dehors d'*Allâh* ce qui ne lui cause ni mal ni bien} : « comme les statues et les idoles, en cherchant auprès d'elles secours, aide et subsistance, alors qu'elles ne

<sup>47</sup> Chapitre *Annâh* verset 21.

peuvent lui causer ni profit ni dommage<sup>48</sup> ». Le Très-Haut a dit : {si seulement ce qu'ils ont pris en dehors d'*Allâh* comme rapprocheurs et divinités les avaient secourus ?} *Ibn Kathîr* a dit : « c'est-à-dire : les ont-elles secourus lorsqu'ils avaient besoin d'elles ? »

Et lorsqu'*Ibrâhîm* sur lui la paix voulut empêcher l'adoration des statues, il les brisa sauf la plus grande d'entre elles, afin que son peuple croie qu'elle fut jalouse et refusa qu'on adore avec elle les petites divinités. Le Très-Haut a dit : {il les brisa en morceaux, sauf la plus grande d'entre elles, peut-être reviendraient-ils vers elle}. Il voulut par cela leur démontrer qu'il ne convient pas de croire que ce qui n'a pas la capacité de repousser le mal de lui-même puisse le repousser des autres. Et {il dit : adorez-vous en dehors d'*Allâh* ce qui ne peut vous causer ni bien ni mal ? Fi de ce que vous adorez en dehors d'*Allâh* ! Ne réfléchissez-vous donc pas ?} Parmi ce qu'a dit *abû Soufyân ibn Harb* lorsqu'il voulut s'en retourner après la bataille d'*Ouhoud*, on trouve : « élevé sois-tu *Houbal* », c'est-à-dire fais que ta religion triomphe, *Houbal* étant une idole de *Makkah*. L'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, dit alors : « lève-toi, 'Oumar et réponds-lui en disant : *Allâh* est plus élevé et majestueux<sup>49</sup> ». Et cela est clair concernant le fait que les associateurs croyaient que les divinités causent du bien et du mal, et qu'à cause de cela elles méritaient d'être adorées en dehors d'*Allâh*.

L'érudit *Yûsouf Addijwiyy* secoureur de la *sounnah* a dit au sujet des *wahhâbiyyah* : « leurs paroles disant que le *tawhîd* est divisé en *tawhîd roubôubiyyah* et *tawhîd oulôuhiyyah* est une division que personne ne connaissait avant *ibn Taymiyyah*, et qui de plus est aberrante comme tu vas le voir. L'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, ne disait à personne qui entrait en *Islâm* : il y a deux sortes de *tawhîd* et tu ne seras musulman que lorsque tu croiras au *tawhîd oulôuhiyyah*. Il n'y a fait allusion dans aucune parole et on n'a entendu cela d'aucun des *salaf* qu'ils prétendent avec fanfaronnade suivre en toute chose. Cette division n'a aucun sens, car une véritable divinité est également un véritable seigneur et une fausse divinité est également un faux seigneur, et seul celui qui est le Seigneur mérite l'adoration et le fait d'être divinisé. Cela n'a aucun sens d'adorer celui qu'on ne croit pas être un seigneur causant du bien ou du mal. L'un est la conséquence de l'autre, comme l'a dit le Très-Haut : {Il est le Seigneur des cieux et de la terre et de ce qu'il y a entre eux, adore-Le donc et sois constant dans Son adoration. Lui connais-tu un égal ?} Il a donc fait de l'adoration une conséquence de la Seigneurie (*roubôubiyyah*). Et si nous ne croyons pas qu'Il est un Seigneur causant du bien et du mal, il n'y a alors pas de raison de L'adorer [...] Quant au *Qour'ân*, il a dit : {et Il ne vous ordonne pas de prendre les anges et les prophètes comme seigneurs} ; Il a donc clairement dit que les seigneurs étaient multiples chez eux. Mais malgré la clarté du *Qour'ân* concernant le fait qu'ils ont fait des anges des seigneurs, *ibn Taymiyyah* et *Mouhammad ibn 'abd Alwahhâb* disent qu'ils étaient des unificateurs par le *tawhîd roubôubiyyah* et qu'ils n'avaient qu'un seul seigneur, et qu'ils n'ont associé que dans le *tawhîd oulôuhiyyah* !

*Yûsouf* sur lui la paix a dit à ses camarades de prison en les invitant à l'unicité : {quel est le mieux, plusieurs seigneurs ou bien *Allâh* l'Unique et le Dominateur ?} [...] Et considère leur parole le jour de la résurrection : {par *Allâh* nous étions certes dans un égarement évident lorsque nous faisons de vous des égaux du Seigneur des mondes}, c'est-à-dire en faisant de vous des seigneurs comme cela est clair. Il y a de

<sup>48</sup> Chapitre *Alhâjj*, verset 12.

<sup>49</sup> Voir le résumé de la *sîrah* d'*ibn Hichâm* de 'abd *Assalâm Hârôun* page 150.

nombreux autres textes du même acabit dont nous ne ferons pas mention par souci de concision<sup>50</sup>. Il n'y a donc pas chez ces mécréants de *tawhîd roubôubiyyah* – comme l'a prétendu *ibn Taymiyyah* – et *Yôusouf*, sur lui la paix, ne les appelait qu'au *tawhîd roubôubiyyah* car il n'y a pas chez *Yôusouf*, sur lui la paix, une chose appelée *tawhîd roubôubiyyah* et une autre appelée *tawhîd oulôuhiyyah*. Sont-ils mieux informés que lui sur le *tawhîd* et considèrent-ils qu'il s'est trompé en mentionnant les seigneurs au lieu des divinités ? Quant à la *sounnah*, le questionnement du mort par les anges est au sujet de son Seigneur et non de sa Divinité, car ils ne font pas de différence entre le Seigneur et la Divinité, n'étant en effet ni des adeptes d'*ibn Taymiyyah* ni des demeurerés. Ce qui convenait selon leur doctrine est qu'ils disent au mort : qui est ta divinité ? et non : qui est ton seigneur ? Ou qu'ils le questionnent sur les deux à la fois [...]

Quant à Sa parole : {si tu leur demandes qui a créé les cieux et la terre, certes ils diront : *Allâh*}, c'est parce qu'ils disent par leurs langues ce qui n'est pas dans leurs cœurs, en répondant selon le besoin du moment car ils y sont contraints par les arguments indiscutables et les versets clairs. Il se peut qu'ils disent ce qui peut à peine trouver place dans leurs cœurs ou parvenir à leurs âmes, comme le montre le fait que leur parole soit accompagnée de ce qui prouve leur mensonge, et qu'ils attribuent le mal et le bien à autre que Lui, et comme le démontre leur profonde ignorance d'*Allâh* et qu'ils Lui préfèrent autrui, même dans les choses insignifiantes. Et si tu veux, considère ce qu'ils disent à *Hôud*, sur lui la prière et la paix : {nous disons simplement que certaines de nos divinités t'ont touché par le mal}. Comment *ibn Taymiyyah* peut-il soutenir qu'ils croient que les idoles ne causent ni mal ni bien, ainsi que le reste de ses affirmations ! [...]

Nous leur disons après cela : même si l'on supposait qu'il y ait bien une différence entre *tawhîd oulôuhiyyah* et *tawhîd roubôubiyyah* – comme ils le prétendent – le *tawassoul* ne contredirait pas le *tawhîd oulôuhiyyah* car il n'est nullement une adoration, ni linguistiquement, ni juridiquement, ni coutumièrement. Personne n'a dit qu'appeler les hommes pieux ou de faire le *tawassoul* par leur biais est une adoration, et l'Envoyé, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, ne nous a pas informé de cela, et si c'était une adoration ou y ressemblait, ce serait interdit par les vivants comme par les morts.

Si quelqu'un objecte qu'*Allâh* est plus proche de nous que la veine jugulaire et qu'Il n'a donc pas besoin d'intermédiaire, nous lui disons : tu as pris en compte certaines choses et en as délaissé d'autres, car ton avis implique que l'on délaisse les causes et les intermédiaires pour toute chose, alors que le monde est fondé sur une sagesse instaurant pour toute chose des causes et des effets, ce qui implique également l'absence d'intercession le jour de la résurrection – alors qu'elle est connue dans la religion de façon indubitable – car elle n'est selon cet avis d'aucune utilité, car Il, purifié et élevé soit-Il, n'a pas besoin d'intermédiaire, étant Lui-même plus proche que l'intermédiaire. Cela implique également l'erreur de '*Oumar ibn Alkhattâb* dans sa parole : nous prenons comme intercesseur auprès de Toi l'oncle de Ton Prophète, *Al'abbâs*, etc. Et d'une façon générale, ceci implique que l'on condamne la porte des causes, de leurs effets et des intermédiaires, ce qui est contraire à la coutume divine sur laquelle a été fondée l'édification des mondes dans leur totalité, du premier

<sup>50</sup> Considère la parole d'*Allâh* {ils prirent leurs savants et leurs prêtres comme seigneurs en dehors d'*Allâh*, ainsi que le Messie fils de Marie, alors qu'ils ne reçurent que l'ordre d'adorer un seul Dieu. Pureté à Lui et Elevé soit-Il au dessus de ce qu'ils associent}. Comment *ibn Taymiyyah* peut-il après cela faire une différence entre le Dieu et le Seigneur ? {Ne méditent-ils pas le *Qour'ân*, ou y a-t-il sur les cœurs des cadenas}.

jusqu'au dernier. Et ce qu'ils avancent implique qu'ils soient également concernés par ce dont ils accusent les musulmans, car il ne leur est pas possible de se passer des causes ou de délaissier les intermédiaires. Au contraire, ce sont eux qui s'y attachent le plus et qui y ont davantage recours.

Nous soulignons également que faire une différence entre vivants et morts sur ce point n'a aucun sens, car celui qui pratique le *tawassoul* ne demande absolument rien au mort, mais il demande plutôt à *Allâh* en prenant comme intermédiaire auprès de Lui la valeur qu'a pour Lui ce mort ou l'amour qu'Il a pour lui ou autre chose similaire. S'agit-il de la divinisation ou de l'adoration du mort, ou est-ce plutôt sans aucun doute quelque chose de légitime ? Mais ce sont plutôt des gens imprécis qui manquent de minutie. Comment ne le serait-il pas, alors que la permission de pratiquer le *tawassoul*, et même plutôt qu'il s'agit d'une bonne chose, est connu chez tous les musulmans ? Consulte les ouvrages des quatre écoles, même ceux des *hanbaliyyah*, concernant les politesses requises pour sa visite, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, et tu verras qu'ils recommandaient le *tawassoul* par son intermédiaire auprès d'*Allâh* le Très-Haut, jusqu'à ce que vienne *Ibn Taymiyyah* qui viola le consensus et contrecarra ce qui était implanté dans la nature primordiale en contredisant ainsi la raison et les textes<sup>51</sup> ».

### La réalité de la secte *wahhâbiyyah*

Les *wahhâbiyyah* dont la croyance est corrompue traitèrent les musulmans de mécréants, rendirent leur sang licite et les massacrèrent donc. On trouve une preuve de leur crime dans la lettre qu'a écrite *Sa'ôud ibn 'abd Al'azîz ibn Mouhammad ibn Sa'ôud*, petit-fils du fondateur du premier état saoudien, au gouverneur de *Baghdâd*, et dont le texte est le suivant : « après cela nous avons repris la route et nous nous sommes arrêtés dans ta contrée à *Albasrah* et nous y sommes restés dix jours en égorgeant et détruisant ce dont tu as eu connaissance [...] Les musulmans s'arrêtèrent lorsqu'ils arrivèrent à proximité de *Khân Dhablah*, et ils passèrent par l'épée quiconque venait à leur rencontre. Puis de *Khân Dhablah* nous allâmes jusqu'à *Albasrah* où nous restâmes environ vingt nuits en prenant et en tuant parmi tes sujets le citadin comme le campagnard. Voilà les traces de notre passage. Regarde tes demeures, celles des paysans et des campagnes, de *Baghdâd* à *Albasrah*, combien de ces demeures ont été détruites ! Il n'en reste aucune trace dans toute cette zone, et à *Allâh* revient la louange et la gratitude. Et quant à ce que tu as mentionné au sujet des lieux saints honorés, la louange revient à *Allâh* pour Ses bienfaits et Sa générosité en Le louant abondamment comme cela convient. Que Sa majesté soit magnifiée ! Et puisque les habitants des lieux saints refusaient l'*Islâm* et la soumission au décret d'*Allâh* et de Son Prophète, qu'ils persistaient sur la même position que la tienne, à savoir l'idolâtrie, l'égarément et la perversion, il nous incombait de les combattre, par la grâce d'*Allâh*, afin de faire disparaître cela du sanctuaire d'*Allâh* et du sanctuaire de Son Envoyé, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, sans pour autant profaner leur sacralité<sup>52</sup> ».

*Ibn 'Âbidîn* le *hanafiyy* a dit pour confirmer que *Mouhammad ibn 'abd Alwahhâb* suit les *khawârij* à son époque : « de même cela s'est produit à notre époque avec les disciples de – *Mouhammad ibn – 'abd Alwahhâb* qui sont sortis du *Najd* et ont conquis les lieux saints. Ils s'affiliaient à l'école *hanbaliyy* mais ils pensaient être les seuls musulmans et que ceux qui les contredisaient dans leur

<sup>51</sup> *Naqd taqsîm attawhîd ilâ oulûhiyyah wa roubûbiyyah* d'*Addijwiyy*.

<sup>52</sup> *Dourarou ssounniyyah fî ajwibati nnajdiyyah* de '*abd Arrahmân ibn Mouhammad ibn Qâsim* tome 9 pages 280 à 285.



croyance étaient des associateurs, et permirent de tuer les gens de la *sounnah* et de tuer leurs savants<sup>53</sup> ». Et c'est ainsi que les *wahhâbiyyah* accusent les gens de la *sounnah* et les saints de *chirk* (polythéisme), alors qu'ils sont ceux qui méritent le plus ce qualificatif comme nous l'avons démontré. L'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, a dit au sujet des *khawârij* : « l'un de vous méprisera sa prière par rapport à leur prière et son jeûne par rapport à leur jeûne ». Et il a dit : « ils liront le *Qour'ân* sans qu'il ne dépasse leur gorge, ils tueront les gens de l'*Islâm* et laisseront tranquille les adorateurs d'idoles. Ils sortiront de l'*Islâm* telle une flèche traversant une cible. Certes si je les rencontre, je les tuerai comme fut tué le peuple de 'Âd<sup>54</sup> ». La position de ces gens par rapport à l'*Islâm* est celle d'une flèche par rapport à une cible qu'elle a transpercée, c'est-à-dire en passant au travers et en ressortant de l'autre côté, sans que rien de la cible ne reste accroché à la flèche en question ; c'est comme si la flèche ne l'avait aucunement touchée. Ils semblent en apparence fortement investis dans l'*Islâm* mais ils en sont en réalité sortis.

Certains ont dit que le *hadîth* suivant fait allusion à l'apparition des *wahhâbiyyah* dans le *Najd*. *Ibn 'Oumar* a dit : « le Prophète, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, a dit : *Allâhoumma*, bénis notre *Châm* ! *Allâhoumma*, bénis notre Yémen ! Ils dirent : ô Envoyé d'*Allâh*, et notre *Najd* ? Il dit : *Allâhoumma*, bénis notre *Châm* ! *Allâhoumma*, bénis notre Yémen ! Ils dirent : ô Envoyé d'*Allâh*, et notre *Najd* ? Et je pense qu'il a dit lors de la troisième fois : c'est là-bas qu'il y aura des tremblements de terre et des troubles, et c'est là-bas que la corne du diable apparaîtra<sup>55</sup> ».

*Assâwiyy* le *mâlikiyy* a dit dans son explication de la parole du Très-Haut {quant à ceux à qui on a embelli leurs mauvaises actions et qui les ont alors perçues comme bonnes, car certes *Allâh* égare qui Il veut et guide qui Il veut, ne t'afflige point à leur sujet. Certes *Allâh* sait ce qu'ils font} : « on a dit que ce verset a été révélé au sujet des *khawârij* qui détournent l'interprétation du Livre et de la *sounnah* et se permettent par ce biais le sang et les biens des musulmans, et c'est ce que nous constatons aujourd'hui chez leurs semblables qui sont une secte dans la terre du *Hijâz* qu'on appelle les *wahhâbiyyah*. {Ils pensent que leur position est justifiée, mais ce sont plutôt des menteurs. Le diable s'est emparé d'eux et leur a fait oublier l'invocation d'*Allâh*. Ils constituent la faction du diable, et certes la faction du diable, ce sont eux les perdants}. Nous demandons à *Allâh* le généreux d'exterminer leur descendance<sup>56</sup> ». Et sa parole « et c'est ce que nous constatons aujourd'hui chez leurs semblables qui sont une secte dans la terre du *Hijâz* qu'on appelle les *wahhâbiyyah*, {ils pensent que leur position est justifiée mais ce sont plutôt des menteurs} » a été supprimée du troisième tome page 379 de l'édition *dâr alfikr* de l'année 1993. Cela fait partie des nombreux cas de falsification à laquelle ont recours les *wahhâbiyyah* concernant ce qui ne s'accorde pas avec leurs passions. Nous avons déjà mentionné leur falsification de la parole d'*Annawawiyy* sur la visite de l'Envoyé d'*Allâh*, bénédiction et salut d'*Allâh* sur lui, lors de la note 210.

L'*imâm Tâj addîn Assoubkiyy* a dit : « il existe chez les innovateurs, en particulier chez les anthropomorphistes, une spécificité que l'on ne trouve pas chez les autres. Elle consiste à légitimer le mensonge afin de secourir leur doctrine ainsi que le témoignage mensonger à l'encontre de celui qui les contredit dans la croyance, afin de porter préjudice à sa personne et à ses biens dans le but de secourir leur

<sup>53</sup> *Radd almouhtâr* d'*ibn 'Âbidîn*, livre du *jihâd*, chapitre des rebelles, tome 4 page 262.

<sup>54</sup> Rapportés d'*abou Sa'îd Alkhoudriyy* par *Mousslim*.

<sup>55</sup> Rapporté par *Alboukhâriyy*.

<sup>56</sup> *Hâchiyyah* d'*Assâwiyy* sur le *tafsîr* d'*Aljalâlâyin*, tome 5 page 78.

croyance. Leur haine ainsi que leur rapprochement d'*Allâh* par le mensonge à son encontre augmentent en fonction de l'augmentation de l'atteinte qu'il leur porte. Il n'est pas autorisé au musulman de prendre en considération les paroles de tels individus [...] Cela n'a fait qu'empirer avec les *khattâbiyyah*, qui sont les anthropomorphistes de notre époque. Ils ont permis le mensonge à l'encontre de celui qui les contredit dans la croyance, en particulier s'il leur tient tête, en utilisant tout ce qui peut porter préjudice à sa personne et à ses biens. Il m'est parvenu que le plus éminent d'entre eux fut questionné au sujet d'un *châfi'yy* : a-t-on le droit de témoigner mensongèrement à son encontre ? Il dit : n'es-tu pas convaincu que son sang est licite ? Il dit : bien sur que si. Il dit : tout le reste est moindre que son sang, témoigne donc à son encontre et repousse sa perversion loin des musulmans. Voilà ce qu'est leur dogme, mais ils pensent qu'ils sont de vrais musulmans et qu'ils sont les gens de la *sounnah*. Si nous réunissions leurs savants, ils n'atteindraient pas, ne serait-ce que l'un d'entre eux, un niveau méritant considération. Ils déclarent mécréants la majorité des savants de la communauté puis ils se revendiquent de l'*imâm Ahmad ibn Hanbal*, qu'*Allâh* soit satisfait de lui, qui est certes innocent d'eux ; et cela est plutôt tel que l'ont dit certains connaisseurs, comme je l'ai vu écrit de la main de *Taqiyy addîn ibn Assalâh* : il y a deux *imâm* qu'*Allâh* a éprouvé par leurs compagnons, bien qu'ils en soient innocents : *Ahmad ibn Hanbal* qui fut éprouvé par les anthropomorphistes, et *Ja'far Assâdiq* qui fut éprouvé par les *râfidah (chî'ah)* [...] L'un des anthropomorphistes de notre époque en est arrivé au point de copier l'explication du *sahîh Mouslim* du *chaykh Mouhyi ddîn Annawawiyy* en supprimant de la parole d'*Annawawiyy* ce qui concernait les *hadîth* des attributs. Comme *Annawawiyy* est *ach'ariyy* dans la croyance, alors ce copiste n'a pas supporté de transcrire le livre de la manière dont il a été composé par son auteur. Cela fait partie à mon avis des grands péchés, car il s'agit d'une falsification de la *charî'ah*, et cela ouvre une porte menant à ce que les livres des gens et ce qu'ils auront entre leurs mains comme ouvrages ne soient plus préservés. Qu'*Allâh* enlaidisse et avilisse l'auteur d'un tel acte<sup>57</sup> ».

En résumé les *wahhâbiyyah* ont réuni l'innovation des *khawârij* consistant à traiter les gens de la *sounnah* de mécréants, l'anthropomorphisme de ceux qui affirment la similitude d'*Allâh* avec Sa création, et le *chirk* des *mou'tazilah* en prétendant que l'esclave crée ses propres actes : {des ténèbres les unes au-dessus des autres}, {celui à qui *Allâh* ne donne pas de lumière est donc dépourvu de lumière}. Ils ont donc contredit la croyance des pieux prédécesseurs (*salaf sâlih*) : {ceux qui ont cru et n'ont pas couvert leur foi de ténèbres, ceux-là sont en sécurité et sont bien guidés} ; et ils les ont également contredits dans beaucoup de questions relatives au *fiqh*, comme le fait qu'*ibn Taymiyyah* ait violé le consensus en disant que prononcer trois divorces en une seule fois n'est qu'un seul divorce. Ils ont délaissé les écoles des *imâm* du *salaf* : *abôu Hanîfah* (m. 150 h. / 767 apr. J.-C), *Mâlik* (m. 179 h. / 796 apr. J.-C), *Achchâfi'yy* (m. 204 h. / 820 apr. J.-C), *Ahmad ibn Hanbal* (m. 241 h. / 855 apr. J.-C) et *Al'ach'ariyy* (m. 324 h. / 936 apr. J.-C) qu'*Allâh* soit satisfait d'eux, au profit des écoles des déviants parmi les *khalaf* comme *ibn Taymiyyah* (m. 728 h. / 1328 apr. J.-C) *Mouhammad ibn 'abd Alwahhâb* (m. 1206 h. / 1792 apr. J.-C), *ibn Bâz* (1420 h. / 1999 apr. J.-C) et *Al'albâniyy* (1420 h. / 1999 apr. J.-C). Il n'est donc pas permis de les appeler *salafiyyah* car mentir est interdit. Ce sont plutôt les *wahhâbiyyah* affiliés à *ibn 'abd Alwahhâb*. Le sultan des savants *ibn 'abd Assalâm* a dit dans *almoulhatou fî i'tiqâdi ahli lhaqq* : « les *hachwiyyah* anthropomorphistes, qui

<sup>57</sup> *Tabaqâtou chchâfi'yyatou lkoubrà* tome 2 page 16.

disent qu'*Allâh* ressemble à Sa création, sont de deux sortes. La première n'éprouve aucune gêne à professer ouvertement son anthropomorphisme, {ils pensent que leur position est justifiée, mais ce sont plutôt eux les menteurs} ; et l'autre sorte se cache derrière l'école du *salaf* afin de consommer l'illicite ou acquérir de vils biens. Ils montrent la piété alors qu'ils recherchent l'argent, {ils veulent se mettre à l'abri de vous et à l'abri de leur peuple}. L'école des *salaf* est le *tawhîd* et le *tanzîh*, sans corporalité ni similitude. De même, tous les innovateurs prétendent suivre l'école des *salaf*. Ils sont tels que l'a dit le poète : tous prétendent être arrivés à *Laylâ*, mais *Laylâ* ne reconnaît cela pour aucun d'entre eux<sup>58</sup> ».

---

<sup>58</sup> Voir *tabaqâtou chchâfi 'iyyatou lkoubrà d'Assoubkiyy* tome 8 page 222.